

الإمام
الدكتور عبد الحليم محمود



إمام التابعين
سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ



دار المعارف

لو رأى رسول الله ﷺ
هذا (يعني سعيد بن المسيب)
لسره

عبد الله بن عمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله حمداً يوافي نعمه ، ويكافئ مزيده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد إمام المؤمنين ، وخاتم المرسلين ، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ، صلاة وسلاماً دائماً إلى يوم الدين . وبعد : فإن في تاريخنا الإسلامي كثيراً من العلماء الذين كانوا مثلاً علياً في الخلق ، كما كانوا أعلاماً يهتدى بهم في العلم .

لقد أخلصوا قلوبهم لله تعالى ، وأسلموا له وجوههم ، فصاروا مثلاً للعلم والخلق ، وصاروا نماذج إنسانية كريمة حققت ما أحبه الله تعالى ورسوله ﷺ للبشر من هداية ترتفع بهم إلى القرب من الله تعالى .

ولقد روى التاريخ عن هؤلاء روايات تعبر عن بطولات علمية ، أو بطولات حربية ، أو بطولات سامية في الخلق والشجاعة ، أو بطولات تجمع بين كل ذلك .

وفي الجيل الذي رآه الرسول ﷺ القسم العليا لهذه البطولات ، وإن في الأجيال التي تلت ذلك - من التابعين ، وتابعي التابعين - مثلاً علياً يمتلئ بها التاريخ الإسلامي على مر الزمن ، كما كان الأمر مثلاً فيما يتعلق بالإمام الرباني الزاهد : « عبد الله بن المبارك » ،

أو فيما يتعلق بالعارف بالله : « شقيق البلخي » أو تلميذه : « حاتم الأصم » وعشرات ومئات وآلاف غيرهم .

ولقد أدب الله تعالى رسوله فأحسن تأديبه : « أدبنى ربي فأحسن تأديبي » .

رباه بالقرآن ، ورباه بالوحي ، في جميع ألوانه ، ثم قال له : ﴿وَأَنْتَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١) .

وربى رسول الله ﷺ جيلاً من البشر ، كله بذل وتضحية ، كله إخلاص لله في اليسير من الأمور والعظيم منها ، وكانوا قدوة حسنة للأجيال من بعدهم .

ولقد كتب كثير من الناس كتباً تصور هذه الجوانب : بعضها يدور حول شخص واحد ، وبعضها يروى قصصاً مختلفة عن كثيرين كلها بطولات نادرة في شتى نواحي البطولات ، من هذه الكتب : كتاب : « مواقف حاسمة للعلماء في الإسلام » ألّفه الأستاذان : « علي شحاته » و « أحمد رجب عبد المجيد » ، قرأت هذا الكتاب النفيس أكثر من مرة ، وكان فيما قرأت قصتين عن الإمام « سعيد ابن المسيب » كانتا من الدوافع التي جعلتني أفكر في الكتابة عنه .

أما القصة الأولى : فإنها تتصل بالخلافة ، وستحدث عنها بتفصيل في فصل خاص ، وفي مقدمة القصة في كتاب « مواقف حاسمة » كتب المؤلفان ما يلي : كان عبد الملك بن مروان

(١) القلم : ٤ .

« ٦٥ - ٧٦ هـ » يرى نفسه من أفقه الفقهاء في عصره ، ولكنه كان يريد من العلماء ومن الناس أن يكتفوا منه بالاستقامة على الشرع في كل شيء ، بشرط أن يتسامحوا معه ، فيما يتصل بالشئون السياسية وما يتخذ من الوسائل لاستبقاء الملك ، وتسييره في أسرته وبنيه ؛ في حين كان علماء الإسلام يرون أن الإسلام كل لا يتجزأ ، وأن التهاون في ناحية معينة ستجر إلى التهاون في نواح أخرى ، حتى يتسع الخرق على الراقع .

ومن هؤلاء العلماء : « سعيد بن المسيب » أحد الفقهاء السبعة في عصر التابعين ، ومن أشراف « بنى مخزوم » ا هـ .

لقد كان سعيد بن المسيب يرى - كما يرى كل مسلم صادق في إسلامه - أن الإسلام « كل لا يتجزأ » إذ أن دعوة الإسلام عنده كما هي عند كل المصلحين دعوة كاملة تامة ! .

إنها دعوة تتضمن التشريع والعقيدة والأخلاق كما يقول سبحانه : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾^(١) .

تمت صدقاً في العقيدة ، وتمت عدلاً في التشريع ؛ فمن انحرف بالدعوة أو عن الدعوة فإنما ينحرف عن الصديق وعن العدل ، وقد كانت دعوة « سعيد بن المسيب » رضى الله عنه كاملة غير منقوصة ! .

أما القصة الثانية : فإنها تتصل بزواج ابنته ، لقد خطبها

(١) الأنعام : ١١٥ .

« عبد الملك بن مروان » لابنه ، فرفض « سعيد » وآثر رجلاً صالحاً فقيراً - وقدمه على ولي العهد ، وقد كان الأساس الوحيد عند « سعيد » في هذا الأمر - وفي جميع معاملاته مع الناس : « **إِنْ أَكْرَمَكُمُ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ** »^(١) ، وسيأتي إن شاء الله تفصيل القصة .

إن هاتين القصتين ترشدان إلى أن الإمام « سعيد بن المسيب » ما كان يسير في حياته على الوضع الذي يسير عليه جمهور الناس ، وإنما كان يقصد - بكل ما يأتي وما يذر - وجه الله تعالى . ! لقد كان يفضل الموت في سبيل الله والحق على إرضاء السلطان مهما كانت رسائل إغرائه ، وهو ما صورته القصة الأولى .

ولقد ازدري ما استعبدت الدنيا به الناس من المال والسلطان ، وإن كثيراً من الناس يحاول بشتى الطرق أن يصل إلى المال ، وإلى السلطان والجاه بحيث يصبح عبداً لذلك . !

وفي سبيل المال ، وفي سبيل السلطان يتطاحن أهل الدنيا ، ويضحون بالمثل والمبادئ والأخلاق ، فتسيل الدماء ، ويتعادي الإخوة والأصدقاء .

ولكن « سعيد بن المسيب » أتف أن ينزل إلى هذا المستوى ، وخلصت نفسه من العبودية للمال والسلطان ، وآثر الله تعالى عن كل ما عداه !

ومن أجل إظهار الله تعالى عن كل ما عداه : هذا الإيقار الذي

(١) المحرمات : ١٣ .

كان طابعاً له وشعاراً أحيينا أن نقدمه لشبابنا : مثلاً يحتذى ؛ في النبل والفضل ، وأن نقدمه للإنسانية : أسوة فاضلة للهداية والافتداء وأن نقدمه للعلماء ، نموذجاً للاستعساك بما يراه حقاً ، لا يبالى بالمرت في سبيله ، وأن نقدمه منارة للسالكين سبيل الحياة الإيمانية ومشعلاً يضيء للباحثين عن طريق الهداية .

لقد صبح العزم على أن أكتب عن « سعيد بن المسيب » ...
وأخذت أجمع المراجع ، من هنا ، ومن هناك ، وأدون الملاحظات من هنا ومن هناك ، وأبحث ، وأتفحص ، وأختبر ، وأخطط وأكتب . ولما أوشكت على الفراغ من كل هذا إذا بأمر ما كنت أتوقعه . وذلك أنني سافرت إلى « يوغوسلافيا » لحضور حفل تنصيب شيخ علمائها ، وهناك التقيت « بالأستاذ نافع قاسم » رئيس ديوان الأوقاف بالعراق ، وبينما نحن نتحدث عن مطبوعات مديرية الأوقاف هناك ؛ إذ به يقول : ... طبعنا جزأين من (فقه سعيد بن المسيب) ...

لم أكن قد سمعت بهذا الكتاب من قبل ، فأخذت أسأل ، وأستفسر ... وأخذت وعداً من الصديق الفاضل ، أن يرسل لي نسخة قور وصوله إلى العراق .

وبرّ الصديق بوعده ، وأخذت أتصفح الكتاب ، وعلمت من قراءتي أن الكتاب أساسه رسالة دكتوراه ، نوقشت بجامعة الأزهر . والكتاب مجهود موفق ، ودراسة متأنية ، عميقة ، لفقه الإمام « سعيد » مع مقارنة لفقه الأئمة الآخرين ، وواضح أن المؤلف الفاضل

« الدكتور هاشم جميل عبد الله » قد بذل كل ما يستطيع ، حتى تكون الدراسة مستوفاة .

وقد أفادني هذا الكتاب النفيس ثقة في اتجاهي في البحث ، وفي طريقي في الدراسة .

ولم يكن هدفي الأساسي من - الكتابة عن الإمام - الجانب الفقهي منه ، وإنما كان هدفي أن أبرز هذه الشخصية باعتبارها من القمم : في الخلق الكريم ، والعلم النافع ، والتوكل على الله تعالى ، توكلًا صادقًا : توكل المقربين ، توكل الربانيين ، من أولياء الله الصالحين .

وأرجو الله تعالى أن أكون قد وفقت ، وأرجوه سبحانه أن يهدي لهذا الكتاب ، ويهدي به .

كما أرجوه سبحانه أن يحيط الإمام بفيض من رحمته ورضوانه ، وأن يجرى كل من كان على سنته - سنة رسول الله ﷺ - خير ما يجرى به العاملين في سبيله ! إنه سميع قريب مجيب .

الفصل الأول حياته

(١) حياته :

إن عبد الله بن عمر رضى الله عنه كان يقول عن سعيد بن المسيب :

« لو رأى رسول الله ﷺ هذا لسره » ، مشيراً إلى سعيد .

وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنه يحب سعيداً ويقدره ،
وبلغ من تقديره له أنه كان يسأله عن قضاء عمر بن الخطاب -
والده - وأحكامه رضى الله عنهم أجمعين ، بل يقول « يحبى بن
سعيد » كما يروى « ابن سعد » فى طبقاته :

كان « عبد الله بن عمر » إذا سئل عن الشيء يشكل عليه قال :
« سلوا سعيد بن المسيب فإنه قد جالس الصالحين » . ويروى
المؤرخون لسعيد أن ابن عمر رضى الله عنه سأله رجل عن مسألة ،
فقال له : إيت ذلك فسله - يعنى « سعيد بن المسيب » - ثم
ارجع إلى وأخبرنى .

ففعل ذلك ، فأخبره ، فقال :

ألم أحبرك بأنه أحد الغامض ؟

وهذا التقدير من « ابن عمر » رضى الله عنه يتناسق مع تقدير المؤرخين « لابن المسيب » ، وسنذكر من ذلك الكثير بإذن الله .
ولقد ولد « سعيد » فى المدينة المنورة ، ولد لستين مضت من خلافة « سيدنا عمر بن الخطاب » ، وفى نهاية خلافة « سيدنا عمر » كان ستة ثمانى سنوات تقريباً ، ومن ذكرياته عن « سيدنا عمر » وهو فى هذه السن المبكرة قال :

سمعت من « عمر » كلمة ما بقى أحد حى سمعها غيرى -
كان عمر إذا رأى الكعبة قال : « اللهم أنت السلام ومنك السلام » .
ويتحدث مرة أخرى - فيما رواه « ابن سعد » بسنده عن « بكير بن أحنس » - فيقول : سمعت عمر على المنبر وهو يقول :
« لا أجد أحداً جامع فلم يفتسل ، أنزل أو لم ينزل ، إلا عاقبته » ،
لقد سمع « سعيد » من « عمر » فى بواكير حياته ، وحفظ عنه ،
وليس ذلك بقريب ، فقد كان سعيد صاحب ذاكرة قوية ، هذا
من جانب ، ومن جانب آخر كان « عمر » مهيباً يسترعى الانتباه
الشديد ، وكان ذا صوت جهورى ، يقرع الأسماع ويملؤها .

أما والده فإنه « المسيب » وهو صحابى جليل مشهور ، من المهاجرين ، ومن أهل بيعة الرضوان الذين قال الله فيهم :

﴿لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم﴾^(١) .

(١) الفتح : ١٨

وقد اختلف المؤرخون في فتح الياء وكسرها في « المسيب » ،
وحسبنا نقرأ في كتاب يضع الشكل على الحروف فإننا نجد أحيانا
يصع على اياء فتحة ، وأحيانا كسرة ، وأحيانا يصع فتحة وكسرة
في ال واحد .

ويقول « علي بن المديني » : أهل العراق يشتحون الياء ، وأما
أهل المدينة فإنهم يكسرونها ، أما سعيد نفسه ، فإنه كان يعتص الياء
ولكنه لم يرو عنه كسرها .

وقد روى « سعيد » عن أبيه بعض الأحاديث ، وكان مما رواه
الشيخان بسندهما عنه قال :

حدثني أبي ، أنه كان فيس بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة
قال . فلما خرجنا في العام المقبل نسيها ، فحدثني عينا مكانها .
و « نسيها » هذا كان بتقدير من العيم الحبير حتى لا تُقدس .

وطال عمر المسيب حتى حصر فتوح الشام .

أما مهنته التي كان يتكسب منها فإنها - كما هي عادة العالية
الساحقة من القرشيين - التجارة .

ماذا ترك « المسيب » لأبيه سعيد من مال ؟

ذلك ما لا نعلمه .

مى مات « المسيب » بالصبط ؟ . ذلك ما لا نعلمه أيضا

وحد « سعيد » هو خزن ، وقد أسلم ولده قبل حده ، وذلك

أن حده أسلم عام الفتح ، ولكن إسلامه وإن جاء متأخراً فإنه أبى
بلاء حسا في الجهاد ، وحصر موقعة اليمامة واستشهد فيها .

وكان استشهاده - إذن - في خلافة أبي بكر ستة أشهر
من الهجرة ، وهذه الأسرة من « محزوم » ، وقد كان من « محزوم »
« سيدنا خالد بن الوليد » ، ومحزوم مشهوره بالشجاعة ، ولا عراة
هي أن يكون والد « سعيد » وجده قد ساهما في الجهاد ، وأن
يكون جده قد استشهد فيه ، أما سعيد فإنه خرج كأبلافة للغزو
حتى في أحرىات عمره .

روى عن الزهري قال :

خرج « سعيد بن المسيب » إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه
فقيل له : بك عليل ، صاحب ضر ، يشيرون إلى قوله تعالى .
﴿ ليس على الأعمى حرج ، ولا على الأعرج حرج ولا على المريض
حرج ﴾^(١)

فقال سعيد :

استنصر الله تعالى : الحبيب والثقل . يشير إلى قوله تعالى ﴿ انصروا
حسباً وثقلاً ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم
خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾^{(٢)(٣)} .

(١) الفتح ٧

(٢) التوبة : ٤١

(٣) يقول الله تعالى ﴿ انصروا حسباً وثقلاً ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل
الله ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾

= وعن (مسلم بن صحيح) قال - أول ما نزل من براءة ﴿ انصروا خفافاً وثقالاً ﴾ ...
لقد فهم أسلافنا رضوان الله عليهم هذه الآية على وضعها كما أحب الله ورسوله
وكما يدر عليه التعبير القرآني الكريم

يروى صاحب محاسن التأويل أنه لما كانت العوث إلى الشام قرأ (نبي طلحة)
رضي الله عنه سورة براءة : حتى أتى على هذه الآية ، فقال :
(أرى ربنا استقرنا شيوعاً وشيئاً ، جهرزنى يا بنى) .

فقال يئوس يرحمك الله ، قد عزوت مع رسول الله ﷺ حتى مات ومع نبي بكر
حتى مات ، ومع عمر حتى مات ، فممن نعزو عليك

فقال : ما صنع الله عزك أحد ، ثم خرج إلى الشام للجهاد ا هـ .
أما فارس رسول الله ﷺ بصحابي الجليل (المقداد بن الأسود) فان مواقفه في
الجهاد في سبيل الله معروفة مشهورة ، ومن مواقفه الحادثة أنه كان من أروع المتحمسين
يوم أن استشار الرسول ﷺ المهاجرين والأنصار في أمر حرب ، لقد قال يومئذ
(يا رسول الله ، امض لما أراك الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قال نبي
إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا معدون ، ولكن -) اذهب أنت
وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون) فوالذي بعث بالحق ب سرت بنا رب برك الفصاد
موضع بأقصى اليمن - ليجال لنا معك من دونه حتى قيله

إن فارس رسول الله ﷺ هذا ، رآه رجل يخص رقد كبير في الس ومالت به
الشيحوة ، ومع ذلك فقد كان صائحاً بنعرو ، فقال له قد أعذر الله إليك .
فقال نبي علي « سورة العوث » (التوبة) « انصروا خفافاً وثقالاً »

وانصروا يعرفون (أن نوب الأنصاري) ويعرفون فصله وحلاصه لله
ولرسوله ﷺ أنه كان يقرأ هذه الآية الكريمة ثم يقول : (فلا أجلس إلا خفيفاً أو
ثقيلاً) .

ويروى - (لإمام الطبري) - بسنده عن (حبان بن زيد) قال : مرنا مع (صفوان بن
عمرو) - وكان والياً على حمص فلقب شيخاً كبيراً حرماً أي يلع من الكبير حتى قد
سقط حاجباه على عينيه ، من أهل دمشق ، عن راحته فمس أعر ، فأقبل عليه فقالت
يا عم ، لقد أعذر الله إليك فرجع حاديه فقال يا ابن أخي ، استمقرنا الله
خفافاً وثقالاً ، من يحب الله يسليه ، ثم يعيده فينتليه ، إنما يتلى الله من عاده من شكر ،
وصبر ، وذكر ، ولم يعبد إلا الله .

= ومن الحق أن نقول إن كلمة الله تعالى ﴿ خفافاً وثقالاً ﴾ .

= كلمة جامعة .. نهى تعالى : شباناً وشيوخاً ، أغنياء وفقراء ، مشاغل ، وغير مشاغل ، نشاطاً وغير نشاط ، ركباناً ومشاة
 إنها نهى العرو على كل حال أنتم عنه من يسر أو عسر ، ومن غنى أو فقر ،
 ومن عيل أو عليم عيال ، ومن سمى أو هزل
 أما حبيب نزول هذه الآية الكريمة الجامعة فإن أناساً قالوا
 إن فيها التنبل ، ودا الحاجة ، والصحة ، والفضل ، وانتشر به أمره . فأنزل الله
 تعالى : ﴿ اتقوا حيفاً وثقالاً ﴾
 وأنى أن يندبرهم دون أن يتقوا حيفاً وثقالاً . على ما كان منهم
 ويقول الإمام (الطبري) :

(إن الله تعالى ذكر أمر المؤمنين بالتقير بجهاد أعدائه في سبيله حيفاً وثقالاً ، وقد
 يدخل في (الحيف) كل من كان سهلاً عليه الأمر لفوقه بئنه على ذلك ، وصحة جسده
 وشبابه ، ومن كان دا يسر بمل وفراغ من الاشتغال ، واقتدار على الظهور والركاب ،
 ويدخل في (الثقال) كل من كان يحلاف ذلك ، من صبيح الجسم وعليه وسيله ،
 ومن معسر من المال ، ومشتغل بصيغة ومعاش ومن كان لا يظهر له ولا ركاب ، والشيخ
 ذو السن والعيال

فإذا كان قد يدخل في (الحيف) و (الثقال) من رصدا من أهل الصعاب التي
 ذكره ، ولم يكن الله جل ثلوه خص من ذلك صنف دون صنف في الكتاب ولا على
 لسان الرسول ﷺ ، ولا نص على خصوصه ذليلاً ، وجب أن يقدر إن الله جل ثلوه
 أمر المؤمنين من أصحاب رسوله بالتقير للجهاد في سبيله حيفاً وثقالاً ، مع رسوله ﷺ ،
 على كل حال من أحوال الخفة والثل ، اهـ

وإذا كان الله سبحانه وتعالى يقول ﴿ ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على
 الذين لا يجدون ما ينفقون حرج ﴾ (التوبة : ٩١)
 فإنه سبحانه قيد ذلك بقوله : ﴿ إذا أصبحوا لله ورسوله ﴾ .

ومصحبهم لله ورسوله شرط في رفع الحرج عنهم ، ومصحبهم لله ورسوله كل بحسب
 حاله ، هذا التصريح هو نوع من التعبير بهم داخلون في التعبير باسمي العام
 بيد أن قوله تعالى : ﴿ اتقوا حيفاً وثقالاً ﴾

يس خدماً بالأفراد ، والله سبحانه وتعالى إذا لم يدع عمراً يعتذر بالسبة للأفراد
 فإنه سبحانه وتعالى بهذه الآية نفسها لم يدع عمراً يعتذر بالسبة لندون
 وما من شئ في أن الله سبحانه وحاطب بهذه الآية الكريمة المجتمع الإسلامي كله ،

=سء ورجالاً ، شيئا وكهولاً ، دولاً وأفراداً ، بيد أن التركيز في انفاصى كان يحجه
 ن الأفراد ، وذلك لأنهم كانوا أفراداً في دولة واحدة هي الدولة الإسلامية المترامية الأطراف
 أما الآن ، وقد فرى الاستعمار ، وفرقب الأهواء ، وفرق حب الرئاسة الأمة الإسلامية
 فجعلها أمماً دولاً ودويلات ، وديارات ، ولكل منها حدود وقواصل ونظام خاص ،
 فإن التركيز الآن على الدول

إن العدو حينما يكون في أرض الإسلام فإن الجهاد يصبح فرضاً على كل مسلم
 ومسلمة ، ويصبح فرضاً عين على كل دولة .

إنه يصبح فرض عين بالكيان كله للفرد ، والكيان كله للدولة
 والآيات القرآنية الكريمة الخاصة بالجهاد ، والأحاديث النبوية الشريفة التي تتحدث
 عن الجهاد ، كما تنصص الدعوة إلى الأفراد فإنها تنصص الدعوة إلى الجماعات
 وإذا خرج الفرد على الجهاد فإنه يكون قد خرج على الإيمان ، وإذا لم تشارك دولة
 في الجهاد بكانها كنه . حيث يكون العدو في أرض الإسلام فإنها بذلك تكون قد
 أسدت إيمانها وحارصت بذلك القرآن والسنة

إن الله سبحانه وتعالى يقول ﴿لَا يَسْتَأْذِنُ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنَّهُ
 يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَنِ إِمْلَائِهِمْ﴾ (التوبة ٤١ ، ٤٥)
 وأخرج الله سبحانه بهذه الآية للكريمة كل من سكر بالجهاد فرداً كان ثم شرية .

وسكر الدول للجهاد إنما هو في حقيقة الأمر تنكر من رؤسائها له . وقد كانوا يثورون
 بالإنتم قبل أن يثور به شخص آخر فإن على شعوبهم أن تثور في وجوههم ثوره تصطرهم
 إلى السجون في الجهاد بكل ما ساءت الدولة من إسكانات ، فساد م يصنعوا هم شركاء
 في الإثم والجور .

وبعود إلى الآية الكريمة ، وإذا كان الله سبحانه وتعالى قال فيها ﴿اتَّقُوا عَذَابَ

فَالهِ سَيَحْلِلُهُ أُنْتِجَ ذَلِكَ يَقُولُهُ :

﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾

وكما نرى معنا الصالح جهاد وثقلاً ، فإنهم جاهدوا بأنفسهم وأموالهم في سبيل الله ،
 بل ساهموا بالجهاد بالنفس والمال في سبيل الله وصبروا بذلك أرواح الأمثلة للعداء والصحة
 والبدن

وهذه لم تلدع علماً لمعذر

وتقد أثارت هذه الآية اهتمام الصحابة والتابعين ، ومن أمثلة ذلك أن « أبا طلحة » رضى الله عنه قرأ سورة براءة ، فلما وصل إلى هذه الآية قال : - كما يروى « ابن كثير » - أرى ربنا استنصر شيوخاً وشباناً ، جهرونى يا نبي ، فقال سوه : يرحمك الله ، قد عزوت مع رسول الله ﷺ حتى مات ، ومع أبى بكر حتى مات ، ومع عمر حتى مات ، فحن بغرورك ، فأبى فركب البحر غمام ، فلم يجدوا له جزيرة يدعونه فيها إلا بعد تسعة أيام ، فلم بشعر ، فدفعوه فيها .

وهذا الاتجاه فى تفسير الآية روى عن « ابن عباس » وعكرمة ، وأبى صالح ، والحسن البصرى ، وسهيل بن عطية ، ومقاتل بن حيان ، والثعلبى ، وزيد بن أسلم .

إنهم قالوا فى تفسير هذه الآية ﴿انفروا حفاة وثقالاً﴾ كهولاً وشباناً ، وكذا قال « عكرمة » ، والضحاك ، ومقاتل بن حيان « وغير واحد » ، وقال « مجاهد » : شناً وشيوخاً ، وأعياء ومساكين وكذا قال « أبو صالح » وغيره . وقال « الحكم بن عتيبة » . مشاعيل وغير مشاعيل .

قال العوفى عن « ابن عباس » فى قوله تعالى ﴿انفروا حفاة وثقالاً﴾ قالو : فإن فبد لثقل وذا لحاجة والصعبة ولشغل واشتغى به أمره ، فأنزل الله الآية الكريمة وثبى أن يعذرهم دون أن يفروا ﴿خفافاً وثقالاً﴾ أى على ما كان منهم

وقال « الحسن بن أبي الحسن البصري » أيضاً في العسر واليسر ،
وهذا كله من مقتضيات العموم في الآية ، وهذا اختيار « ابن جرير »
وبشأ « سعيد » في كنف أبيه لمجاهد ، وأخذ يسير على السبق
لمعتاد إذ ذاك في التعلم

وكان أساس التعلم المعتقد حفظ القرآن ودراسة ، والأغصان
في أنوار الحديث النبوي انماساً يشرق بالسور في لقلب ، وباعرفة
في العقل ، وتقصى سيرة رسول الله ﷺ ، وكلها تقود الإنسان
حيماً يتجه بها إلى الله ويخلص النية فيها إلى أسمى درجات
الهداية ، وأحد « سعيد » يطوف ها وهاك في حقائق الدرس
في المسجد النبوي الشريف ، بل ويطوف بصحابة رسول الله ﷺ
في بيوتهم

لقد تعشق المعرفة .

على من كان يدرس ؟ ومن كان يستفيد ؟

يقول الزهري ، وقد سأل سائل :

عن أحمد « سعيد بن المسيب » علمه ؟

قال : عن « زيد بن ثابت » وجالس « سعد بن أبي وقاص »
و « ابن عباس » و « ابن عمر » ، ودخل على أرواح النبي ﷺ :
« عائشة وأم سلمة »

وكان قد سمع من « عثمان بن عفان » ، وعلي ، وصهيب ، ومحمد
ابن سلمة « أ هـ .

ويقول « سليمان بن يسار » :

كما تجالس « زيد بن ثابت » « أنا » وسعيد بن المسيب ،
وفيصلة بن دؤيب « وجالس « ابن عباس » ا هـ .

وإذا كان قد جالس هؤلاء فإنه قد جالس غيرهم من أصحاب
رسول الله ﷺ الذين وحدوا في عصره ، ولكنه اتصل اتصالاً وثيقاً
جداً بأبي هريرة رضي الله عنه

لقد رأى « أبو هريرة » رضي الله عنه هذا الشاب النشيط -
« سعيد بن المسيب » يذهب ها وهناك مستمعاً مستفسراً معتمداً ،
وراه مهذباً ذا دين ونفوس فأحببه ، وانتهت صلاتهما بأن تروح « سعيد »
أبنة أبي هريرة .

متى تم هذا الرواح ؟ وهل كان « سعيد » هو الذي بدأ المحادثة ؟
أم أن أبا هريرة هو الذي عرض له بالأمر ، أو عرض عليه الأمر ؟
دلت ما لا يحصى : وإنما الذي يعلمه هو أن « أبا هريرة » لارم
رسول الله ﷺ ملازمة تشبه أن تكون تامة في السنوات الأخيرة
من حياة رسول الله ﷺ ، وأنه حفظ عنه ، يقول الزهري عن
« سعيد » :

وجن روايته المسندة عن « أبي هريرة » وكان روح أبيته ويقول
سيمان بن يسار .

فأما أبو هريرة فكان « سعيد » أعلمنا بمسنداته ، لصهره منه
بأن « سعيد » إذا كان قد اعترف من « أبي هريرة » رضي الله
عنه ، فإنه كان مخصصاً في أقضية رسول الله ﷺ وأقصية

« أبي بكر » وأقصية « عمر » ، بل كان يسمى أحيانا راوية « عمر » ، وكان « عبد الله بن عمر » يسأله عن بعض أقصبة أبيه عن « سعد بن إبراهيم » عن « سعيد بن المسيب » قال (ما بقي أحد أعلم بكل قضاء قضاه رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وعمر ، م) .

ووصل بسعيد الأمر إلى درجة أنه كان يسمى وأصحاب رسول الله ﷺ أحياء ، كما ذكر ذلك « قدامة بن موسى الجمحي » فيما رواه « ابن سعد » .

ونقد اتصل بأصحاب « عمر وعثمان » ، ويقول « الرهري » (وكان يقال : ليس أحد أعلم بكل ما مضى « عمر وعثمان » م) . وعود إلى قصة سعيد أبي هريرة ورواح سعيد بابة « أبي هريرة » رضى الله عنه .

وما من شك في أن « أنا هريرة » ربي ابنته فأحسن تربيتها . ربها بالقدوة ، وربها بما كان يقصه عليها من أخبار رسول الله ﷺ ومن أقواله وأفعاله .

ورفت إلى زوجها « سعيد » في غير ما صاحب أو دعوية . فما كان ذلك من طبع « سعيد » ولا من طبع « أبي هريرة » ولرمت هذه الروحة الفاضلة البيت ، مصرفة لأمره ، فإذا كان هناك وقت فراع شعلته في العدة وشعلته بما يرفع ، لم تحرج من بيتها حتى في الليلة التي رمت فيها ابنتها ، « سعيد » - وحده هو الذي صاحب به إلى زوجها . وكانت هذه الروحة سعيدة

حياتها ، كانت تعيش في كنف رجل مسرك ، عام ، تقى ، ورع ،
راهد ، يصرف حياته في بيع الناس وعديتهم ، وماده تريد هي
أفضل من هذه الصلحة .

ولكن لتاريخ يروى خروجها مرة ، ويروى أيضاً بعض ما تحدث
به ، لقد كانت ابنتها في حانة وضع لأول مرة وكان لابد من عون ،
وجاءت إليها أمها ، وترك الحديث لتاريخ

يقول « يا بني وداعة » روج بنت « سعيد » رجعت إلى الدار ،
ودا بها شخص ما رأيته قط ، خرجت موباً ، فنادتني من ورائي .

يا عبد الله ، ادخل ، لقد أحسن الله لك هذه السطرة

فقلت : ومن أنت يرحمك الله ؟

قلت : أنا أم الفتاة يا عبد الله ، كيف رأيت أهلك ؟

قلت : جزاكم الله - من أهل بيت حيرا ، لقد ربيتم فأحسنتم ،
وأديتم فأحكمتم .

فقلت : يا عبد الله لا يمنعك مكانها ما أرى ترى بعض ما

نكره فحسن أديها ، يا عبد الله لا يملكها من أمرها ما جاوز نفسها ،

فإن المرأة ربحاه ، وليست بقهرمانة ، ولا تكثر التسم في وجهها ،

فمسحف بك ، يارك الله لكما في الموبود ، وجعله مسركاً ، حائف

لله تعالى ، ووقاه فتنة الشيطان ، وجعله شبيهاً بحدده « سعيد » فوالله

إني لأروحه منذ أربعين سنة ، ما رأيته عصي الله تعالى معصية قط

ثم خرجت ، فلم أر لها وحها ثمانى عشرة سنة ، حتى فصي

عليها الموت .

(٢) عن حياته :

يقول صاحب الكاشف في أسلوبة الوجز عن « سعيد بن المسيب » (« سعيد بن المسيب بن حزن » الإمام « أبو محمد المحزومي » :

أحد الأعلام ، وسيد التابعين ، روى عن « عمر ، وعثمان ، وسعد » وروى عنه « الزهري ، وقتادة ، ويحيى بن سعيد » ثقة ، حجة ، فقيه .

رفع الذكر ، رأس في العلم ولعمل (اهـ)

لقد عاش سعيد بن المسيب حياة عادية ، إسلامية صحيحة ، تزوج ونجب ، واشتغل بالتجارة لكسب رزقه ، واتعمس في العلم والعبادة .

ومن المعروف أنه أحب أن كانت له شهرة في الأنساب ، وقد أودى هذا الابن بسب هذه المعرفة بالأنساب ، وحدث أنه نفى مرة قوماً من نسب معين ، فشكوه إلى الحاكم فعاقبه ، وقد كان الابن معروفاً ، ولكنه لم يكن من رؤوس العلماء

وقد كان لابن المسيب بنت ، ربها فأحسن تربيتها ، وأدبها فأحسن تأديبها ؛ فحسب العلم .

وقد أثر عن زوجها حديث عنها ، وعن أديبها وتقواها وعسمها ،
قال :

(لقد كانت المسألة المعضلة تعيي الفقهاء ، فأسأها عنها ، فوجد
عندها منها علماً !)

ولكن مسألة ابنته هذه لها قصة : !

كان سعيد بن المسيب يتحد في تقديره للناس أئيداً الإسلامى
﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ﴾ .

ولم يكن تقديره للناس مؤسساً على دنيا أو حاه أو سلطان
بعد هذا بقول قلاً عن كتاب (مواقف حاسمة للعساء في
الإسلام) :

(خطب عبد الملك بن مروان - بنت سعيد بن المسيب لابه
الوليد ، لما بلعه من علمها ، وفضلها ، وجمالها ، مضافاً إلى ذلك
سبها في قريش ، فأرسل برعته هذه إلى هشام بن إسحاق المحزومى -
ولى المدينة ، وصهر عبد الملك . وقرب سعيد بن المسيب ، فطار
هشام بذلك فرحاً وأحبر وجوه المدينة ، وذهب الوفد ليقابل سعيداً ،
وهم لا يشكون مصداً أنه سيوافق على تزويجها ، ومن يرفض أن
يروح ابنته من ابن أمير المؤمنين ؟ وولى عهد المسلمين ؟ !
ولكنهم فوجئوا بالرفض ! وحاولوا أن يشوه عن موقفه ، ولكنه
صر على الرفض) ! هـ .

رفض سعيد حصة عبد الملك ، ماذا فعل بعد ذلك ؟ وإذا كان
قد رفض أن يكون ولى العهد لابنته فيمن زوجها ؟

لقد قلنا . إنه يتعامل مع الناس على احبنا القرآنى : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ﴾ ورأى سعيد من بين تلاميذه تلميذا متواضعا ، صالحا تقيا ، يحاول ما استطاع أن يكون لى مرصاة الله تعالى من هو ؟ به « عبد الله بن أبى وداعة » ! وتأخر تلميذه هذا ياما فسأله عنه وهذا أمر طبعى أن يسأل أستاذ عن تلميذ له عائب

فلما حصر سألته سعيد :

أين كانت غيبتك ؟

فقال إن أهلى مرضت ، فمرضتها ، ثم ماتت فدفنتها

فقال له سعيد فى صدق وإخلاص .

يا عبد الله ، أفلا علمتنا بمرضها فعودها ، أو بسوتها فشهد حنارتها ؟ ثم عزاه عنها ، موسيا ومحاملا ، ودعا له بالصبر والثواب ودعا لها بالمعفرة والرحمة ، ثم به « سعيد » تلميذه إلى الوضع الإسلامى قائلا :

يا عبد الله ، تزوج ، ولا تنق لله وأنت أعرب !

فقال عبد الله فى تواضع وانكسار :

برحمت الله ، ومن يزوحى ، فوالله ما أملك غير أربعة دراهم ! ورأى سعيد تواضعا وانكسارا مع علمه بتقواه وصلاحه ، فقال له

سبحان الله ، أو ليس فى أربعة دراهم ما يستعف به الرجل

المسقم ؟

(يا عبد الله ، أنا أزوجك ابنتي إن رضيت)

وسكت ابن أبي وداعة استنصت منه ، وأعضاها لمكانه ولم يحب
فقال له سعيد : مالك سكت ، لعلك سحطت ما عرصا عليك ؟
فقال ابن أبي وداعة : يرحمك الله ، وهل يأتي ذلك إنسان ؟
فوالله إني لأعلم أنك لو شئت روحها بأربعة آلاف ، وأربعة آلاف ،
وكان ابن أبي وداعة يتحدث في كل ذلك على العرف الجارى ،
وفوجيء بقول سعيد له :

قم يا عبد الله ، فادع لي نكراً من الأنصار .

بقول ابن أبي وداعة فقامت ، فدعوت حلقة من بعض خلق
لأنصار فأشهدهم على النكاح .

لم يستأمر سعيد ابنته ، وفي ذلك بروى عن مالك في كتابه :
(الموطأ) قال : إنه بلغه أن القاسم بن محمد ، وسام بن عبد الله ،
كانا يكحان بانهما الأبكار ، ولا يستأمرانهن ، ثم يقول الإمام
مالك :

(ودلك الأمر عدنا في نكاح الأبكار) .

أى أن الكفر لا تستأمر ، وإنما يروحها أبوها

نما للمهر فكان . أربعة دراهم !

ومشكلة المهر والجهار والنكاح عدنا أصبحت من المشكلات
الكبرى ، يتعسف أهل الروجة في قيمة المهر ، ويتعسف الروح

في تفسير الجهاز ، وكل ذلك نظرات لموضوع الزواج مادية
ما كانت تتيق بوصح الزواج في الإسلام !

إن الزواج في الإسلام :

١ - هو ممكن . ٢ - وهو مودة .

٣ - وهو رحمة .

يقول الله تعالى :

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ حَقَّ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ،
وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾^(١) .

ولقد روج رسول الله ﷺ رجلاً ي امرأة على ما معه من القرآن
الكريم ، وقال لأحر في المهر . « الشمس ولو حائما من حديد »

وبصح الرحان في كل لأوقات قائلاً

« فاطر بذات الدين تربت يداك »

يقول رسول الله ﷺ فيما رواه البخاري بسنده عن أبي هريرة
رضي الله عنه :

« تنكح المرأة لأربع : مالها ، ولحسها ، ولحمها ، ولدينها .
فاطر بذات الدين تربت يداك »

وإذا ظفر الأب بالزوج الصالح كان ذلك مممًا كبيرًا ، لا ينف
في وجهه شيء من العقبات ..

(١) الروم . ٢١

ويعود إلى ما حدث عن روج ابن أبي وداعة
لقد صلى الجميع العشاء في المسجد النبوي الشريف ، ثم انصرف
كل إلى منزله .

أما سعيد فإنه قال لسته - حينما وصل المنزل

شدى عليك ثيابك واتعشى

فلما شئت عليها ثيابها قال لها :

صلى ركعتين ، فصمت ركعتين ، وصلى هو ركعتين ، وسارا
في الطريق

وأما ابن أبي وداعة فإنه كان صائماً ، فلما وصل إلى المنزل
أخذ في الإفطار ، وكان خجراً وزيتاً

وبينما هو يتأهب للنوم ، وقد كان من عادتهم أن يناموا بعد
لعشاء وذلك ليستيقظوا عند ثلث الليل الأخير لعبادة والتفكير ،
متأسين برسول الله ﷺ ، ومتجاوبين مع الحديث الشريف

« يرسل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا ، حين يبقى
ثلث الليل الأخير يقول من يدعوني فأستجب له ، من يسألني
فأعطيته ، من يستغفرني فأغفر لي »

يقول - بينما هو متأهب للنوم ، إذ به يسمع قرعاً على الباب ،
فقال : من هذا ؟

فقال له : سعيد .

يقول ابن أبي وداعة : فوالله لقد خطر ببالي كل سعيد بالمدينة

غير سعيد بن المسيب ، وذلك أنه ما رأى قط حرجاً من داره إلا في
جارة أو إلى المسجد ، فقلت . من سعيد ؟ قال : سعيد بن المسيب !
- فارتعدت فرائصي وقتته :

لعل الشيخ نسف فجاء يستقيلي ، فخرجت إليه أحر رحي .
وفتحت الباب . فإذا أنا بشابة متلفعة بساج ، وداراب ، عليها متاح
ومعها خادم ، فسلم علي ، ثم قال لي :

يا عبد الله : هذه زوجتك !

فقلت مستحيًا منه يرحمك الله ، كنت أحب أن يتأخر ذلك
أيامًا !

فقال لي : وله ؟ أولست أحبرتني أن عندك أربعة دراهم ؟ قلت .
هو كما ذكرت لك ، ولكن كنت أحب أن يتأخر ذلك !

قال . وعدي لك أمر ؟ هذه زوجتك ، وهذا متاعكم ، وهذه
خادم تخدمكم ، معها ألف درهم نفقة لكم ، فحدها يا عبد الله
بأمانة الله ، فوالله إنك لتأخذ صوامة قوامة ، عاروة بكتاب الله وسنة
رسول الله ﷺ ، فائق الله فيها ، ولا يمنعك مكانها مني إن
رأيت منها ما تكره - أن تحسن أديها .

ثم دفعها في الباب . ورد الباب ، فسقطت الفتاة من الحياء !
قال أبو وداعة : فاستوثقت من اباب ثم صعدت السطح فناديت
لجيران ، فجاءوني ، وقالوا : ما شأنك ؟

فقلت : زوجتي سعيد بن المسيب اليوم ابته ، وقد جاء بها
على عملة ، وما هي في الدار

فترلوا إليها ، وسمع أمي العجر فجاءت وفاتت لي
(وحيي من وجهك حرام إن مستها قبل أن أصلحها ثلاثة
أيام)

فأقمت ثلاثاً ، ثم دحلت بها ، فإذا هي من أجس لناس ،
وأجفظهم لكتاب الله تعالى ، وأعدمهم بسنة رسول الله ﷺ ،
وأعرفهم بحق الزوج .

قال : فأقمت معها ما شاء الله ، ثم رزقني الله منها حملاً .
وكان « سعيد بن المسيب » كثيراً ما يسألني عنها ، فيقول :
ما فعلت تلك الإنسانية ؟
فأقول : يحير .

فيقول : يا عبد الله إن حفت عليك أن تزورنا فافعل !
أما بعد :

أيها الآباء والأمهات : جعلوا همكم كل همكم في رواح أبنائكم
وبنائكم أن تطعموا بدوى الدين شباباً وفتيات
أيها لشباب : اتبعوا بصيحة رسول الله ﷺ
« حافظوا بذاق الدين تربت يداك » .

فبينا الفضليات لا تفركن المظاهر ، من غنى أو جاه وإنما :
﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ﴾

(٣) عن حياته :

كان لسعيد بن المسيب عادات حسنة معروفة ، يقول صاحب البداية والنهاية : كان سعيد بن المسيب من أروع الناس فيما يدخل بينه وبطنه ، وكان من أزهد الناس في فصول الدنيا ، وحدث لما هي باب طب الصغام من أخبار وآثار كثيرة ، فمنها مثلاً : روى مسلم عن ابن عباس قال : تليت هذه الآية عند النبي ﷺ

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالاً طَيِّبًا ﴾ [البقرة ١٦٨]

فقام سعد بن أبي وقاص فقال : يا رسول الله ، ادع الله أن يحصى مستجاب الدعوة ، فقال : « يا سعد ، أطلب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، والذى نفس محمد بيده إن الرجل ليقذف النخعة الحرام في جوفه ما يتقبل منه أربعين يوماً ، وأيضاً عبد ست لحمه من السمحت ولربها فالتار أولى به » .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أيها الناس ، إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال :

﴿ يَا أَيُّهَا الرِّسْلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [المؤمنين ٥١]

وقال :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ [البقرة ١٧٣]
ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء :
يارب . يارب . ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ،
وغدا بالحرام ه فأنى يستجاب لذلك ؟ ..

تحرى الحلال

من أجل ذلك كان سعيد بن المسيب يتحرى الحلال تحرياً دقيقاً ،
إن (أطلب مطعمك) كانت تلامه هي كل ما يأكل ، وفي كل
ما يشرب ، وفي وصف ذلك يقول صاحب (الحلية) عن عمران بن
عبد الله قال : (كان سعيد بن المسيب لا يقل من أحد شيئاً .
لا ديناراً ، ولا درهماً ، ولا شيئاً) .
قال : وربما عرضت عليه الأشربة فيعرض ، فليس يشرب من
شراب أحد منهم

أما موضوع الأشربة هذا ، فإنه مثلاً كان يكون صائماً وبأنى
صلاة المغرب . وهو بالمسجد النبوى ، وربما تأخر الشراب الذى
يأتى من بيته ، فيعرض عليه بعض الناس الشراب فيأبى تحرياً للحلال .
ومن كلمات سعيد - كما روى صاحب الحلية -
(إن الدنيا ندلة ، وهى إلى كل نذل أميل ، وأندس منها من أخذها
بغير حقها ، وطلبها بغير وجهها فى غير سبيلها)

لا مال من الدولة :

ومن حاسب آخر كان لا يأخذ من الدولة مالاً ، وربما أخذ

العطاء وهو مال كانت تنفقه الدولة شهرياً أو سنوياً من بيت المال ، وكان كل من يفرص له العطاء يأخذه ، وكان أبو در العفاري المؤمن التقى الورع يأخذ عطاءه ، ولكن سعيداً رفض أن يأخذ العطاء من الدولة .

وكان عطاؤه يخزن ويرداد ستة فسة ، يروي أبو نعيم بسنده عن عمران بن عبد الله بن طلحة قال : دعى سعيد بن المسيب إلى سيف وثلاثين ألفاً ليأخذها ، فقال : (لا حاجة لي فيها) .

وإذا كان لا يقبل العطاء من الأمويين فإنه كان لا يقبل شيئاً من أقرابه أيضاً ، وفي ذلك يروي مالك بن أنس أن ابن عم سعيد أنه بأربعة آلاف درهم فأبى أن يأخذها

حب الجمال :

ومن جانب ثالث كان سعيد يسير متعاً للأثر (إن الله جميل يحب الجمال) .

والواقع أن الكثيرين من الصالحين كانوا يحنون الملابس الطيب : وقد كان أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه يحب الملابس الحسنة الجميلة ، وكان العارف بالله الشيخ إبراهيم أبو العيون أيقناً في مله يسترعى الأنظار بأناقته وحسن صوته .

وإذا كان سبحانه أمر باتخاذ الزينة عند كل مسح ، فإنه سبحانه يحب الجمال في كل وقت .

وكان سعيد بن المسيب من هؤلاء الدين يتحدثون ريتهم في

كل أوقاتهم ، لأن أوقاتهم كلها عبادة ، فهو كأنه في كل لحظاته في المسجد .

يروى ابن سعد عن عمران بن عبد الله ، قال : ما أحصى ما رأيت على سعيد بن المسيب من عدة قصص الهروي [كساء ثمين نفيس يصنع في ليلة هراة] ، قال :

(وكان يمس هذه البرود الغالية اليمص) .

وكانت الملابس البيضاء أحب الثياب إلى سعيد ، وفي ذلك يقول محمد بن هلال . (لم أر سعيد بن المسيب لبس غير البياض ، وكان يلبس الخنز ، يقول أبو معشر فيما رواه ابن سعد : رأيت على سعيد بن المسيب الخنز ،

وروى عن محمد بن هلال أنه قال : رأيت سعيد بن المسيب يعتم وعليه قلنسوة لقيمة بعمامة بيضاء ، ما علم أحمر ، يرحبها وراءه شبرا .

من أين مال سعيد :

والآن تتساءل هذا لرق الحلال ، وهذه الحياة الطيبة ما مصدرها ؟

إن والده ، فيما يبدو ، لم يترك له ثروة ، ولم يكن سعيد عاملاً في الدولة ، فمن أين كان يبعق ؟

لقد اشتغل سعيد بالتجارة ، وكان كسلاقه ومعاصريه من قريش ، يكتسب حياته من التجارة ، وكان يشتغل بتجارة الزيت

يقول أحمد بن عبد الله العجلي : كان سعيد رجلاً صابحاً فقيهاً ،
كان لا يأخذ العطاء ، وكانت به بصاعة أربعمئة دينار ، وكان يتجر
في الزيت

والتجارة . لئلا يست من الدنيا الثدلة التي وصفها سعيد فيما
مضى ، وكل ما كان حلالاً لس من الدنيا الخميسة .

وقال من حرم ربة الله التي أخرج لعباده ولطيفات من الرزق
قل هي لذى أسوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ﴿ ٣٢ الأعراف ﴾
وانطلاقاً من ذلك يقول الإمام الشعراوى فى طيفاته عن سعيد :
وكان رضى الله عنه يقول : (لا خير فىمن لا يجمع الدنيا ،
يصون بها دينه وحسبه ويصل بها رحمه) .

ويقول سعيد أيضاً فيما رواه يحيى بن سعيد :

(لا خير فىمن لا يريد جمع المال من حله ، يعطى منه حقه ،
ويكف به وجهه عن الناس) .

ويكرر سعيد فى ذكر هذه المعانى تنبيهاً لكل من تحدثه نفسه
أن يكون كلاً على الناس ، أو أن يتحد البطالة مذهباً ، فيقول سعيد
فى وجه هؤلاء : (لا خير فىمن لا يحب هذا المال ، يصل به رحمه ،
ويؤدى به أمانيه ، ويستغنى به عن خلق ربه) .

كان عند سعيد رأس المال ، وكان يمسكه : بتاجر فيه ، أو
يصارب ويؤدى زكاته كاملة غير منقوصة ، ومع ذلك فإنه كان
يتحج إلى الله تعالى قائلاً : (اللهم إني أعلم أنى لم أمسكه بحلاً
ولا حرصاً عليه ، ولا محبة لدنيا ونيل شهواتها

وانما أريد أن أصوب به وجهي عن بني مروان حتى أنفي الله
 فيحكم فيّ وفيهم ، وأصل منه رحمي ، وأزدي منه الحقوق التي
 هيد ، وأعود منه على الأرملة والفقير والمسكين ، واليتيم والحر .
 وما مات سعيد ترك مالاً اختلعت الروايات في قيمته ، فعصمهم
 يصل به إلى ثلاثة آلاف دينار ، وبعضهم يصل به إلى مائة ، والمعقول
 أنه بين هذا وذاك ، ولقد ترك هذا المال وهو يقول :
 (اللهم إنك تعلم أنني لم أتركه إلا لأصوب ديتي وحسبي)

الدنانير والعلماء :

والواقع أن هذا السط من العلماء كان يسير في حياته حراً كريماً
 ولقد رأى مرة أحد الأشخاص الإمام سفيان الثوري ومعه مائتان
 من الدنانير يتاجر فيها ، فقال له :
 كل هذا المال وأنت زاهد ؟

فأجاب سفيان الثوري قائلاً كلمة مشهورة ، وتعبيراً مأثوراً طريفاً
 (لولا هذه الدنانير لتحمل بنا الأمراء)

أي لولا هذه الدنانير لاحتجنا إلى الأمراء ففعلونا في أيديهم
 أشبه بالمداديل يمسحون فيها ويقوموا من يد إلى يد .. و .
 وكان الإمام الرباني الراشد عبد الله بن المبارك مثلاً كريماً للتاجر
 العام الكبير الذي لا تلهيه نجاته ولا يبعه عن ذكر الله

ولم تكن تجارة هؤلاء جميعاً للدنيا ، ولم تكن التجارة مهتهم
 ولكن كان لابد لهم من مورد رزق لا يكون لأحد عليهم فيه ممة

إلا الله تعالى ، وكانوا يتاجرون من أجل الحد المعقول لحياة كريمة ، ولم يكبروا ، يتاجرون للعنى لأن مهمهم الأكبر إنما كان الجهاد في سبيل الله .

عمل اليد :

كان سعيد في تجاره منسباً بأسلافه ، وكان قدوة لتلاميذه ومريديه ، وكان متبعاً للآثار التي وردت عن رسول الله ﷺ ، ومنها ما روى عن المقدم بن سعد يكرب رضى الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال : (ما أكل أحد طعاماً قط حبراً من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود عليه الصلاة والسلام كان يأكل من عمل يده) [أخرجه البخارى وغيره] .

وفي رواية لابن ماجة : (ما كسب الرجل كسباً أطيب من عمل يده ، وما أتقى الرجل على نفسه وأهله وولده وحادمه فهو صدقة) وعن الزبير بن العوام رضى الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ : (لأن يأخذ أحدكم أحبله ، ويأتى بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها ، فيكف بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أم منعوه) [رواه البخارى في صحيحه] .

وعن أنس رضى الله عنه أن رجلاً من الأنصار أتى النبي ﷺ فسأله فقال :

أما فى بيتك شىء ؟

قال : بلى ، حلس نليس بعضه وسط بعضه ، وقعب نشرب فيه الماء

قال . اتنى بهما ، فأحدهما رسول الله ﷺ بيده ، فقال (من يشتري هذين ؟) قال رجل : أنا آخذهما بدرهم ، قال رسول الله ﷺ :

(من يزيد على درهم ؟ مرتين أو ثلاثة ، قال رجل : أنا آخذهما بدرهمين) .

فأعطاهما إياه ، فأحد الدرهمين فأعطاهما الأنصاري وقال : (اشتر بأحدهما طعامًا فانبذه إلى أهلك ، واشتر بالآخر قدومًا فأتني به)
فأناه فشد فيه رسول الله ﷺ عودًا بيده ، ثم قال : (اذهب فاحتصب وبع ، ولا أرينك خمسة عشر يومًا) ، ففعل فجاء وقد أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوبًا ، وببعضها طعامًا فقال له النبي ﷺ :

(هذا خير لك من أن تعبد المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة)
[رواه أبو داود] .

وعن سعيد بن عمير عن عمه رضى الله عنه قال : سئل رسول الله ﷺ : أى الكسب أطيب ؟

قال (عمل الرجل بيده ، وكل كسب مبرور)
[رواه الحاكم وصححه إسماعيل] .
ويعد ، فإن الدعوة الإسلامية دعوة إلى الإيمان والعلم والعمل والخير الكريم ، وقد كان سعيد بن المسيب يجمع بين ذلك كله .

الفصل الثاني طابعه

نتحدث في هذا الفصل عن سلوك « سعيد بن المسيب » في الحياة ، ونحدث عن خلقه ، وعاداته ، وتقدير الناس له ، أى أننا نحاول في هذا الفصل أن مكمل الصورة التى مازلنا نجمعها لـ « سعيد » ، وسقى مع كل ما نكتبه عنه جوانب يتسع لها الحديث . وذلك أن أراء « سعيد » متثرة هنا وهناك فى كتب التراث الإسلامية ، على كثرتها .

ولكن هذه الآراء - وإن زادتنا معرفة بـ « سعيد » فإنها سوف لا تزيدنا معرفة بشخصيته .

وإن رجاءنا كبير فى أن يكون مذهب « سعيد » المفهـى محل دراسات متعددة حتى يمكن فى النهاية أن يقف هذا المذهب بهـوار مذاهب الفقه الحالية ، وقد أسهم فى ذلك إسهاماً مشكوراً « الدكتور هاشم جميل » ، وأملنا كبير فى أن يتابع العمل ، وأن يشاركه فى ذلك آخرون يتبعون أئمة الفقه من التابعين ، وعلى رأسهم فقهاء المدينة السبعة ، الذين سذكـرهم فيما بعد إن شاء الله .

ونعود إلى « سعيد » :

وببدأ بتقدير العلماء له ، وتقديرهم له ليس تقديرًا للجانب العلمى

فحسب ، وإنما هو تقدير لجوانب عدة ، منها : العلم العلم
بالسنة ، والعلم بالفقه ، والعلم بتفسير القرآن ؛ على الرغم من تخرجه
فيما يتعلق بالتفسير .

لم يكن - إذن - تقديرهم له اعتباطا ، وإنما له أسس راسخة
الجدور ، بأسقة الأغصان من شخصيته : علما ، وعابدا ، ومستقيما .
يقول « علي بن حسين » « سعيد بن المسيب » أعلم الناس
بما تقدمه من الآثار ، وأفقههم في رأيه .

ويقول « ابن رجب » : « هو سيد التابعين » .

ويقول صاحب الشذرات : أحد أعلام الدنيا ، وسيد التابعين

ويقول صاحب الشذرات أيضا وقال « عبد الرحمن بن زيد
بن أسلم » - لما مات العبدلة - « عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن
عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عمرو بن العاص » صار
الفقه في جميع البلدان إلى المولى فقيه مكة « عطاء » ، وفقيه
ابن « طاووس » ، وفقيه اليمامة « يحيى ابن أبي كثير » ، وفقيه
ابنصرة « الحسن البصري » ، وفقيه الكوفة « إبراهيم النخعي » ،
وفقيه الشام « مكحول » ، وفقيه خراسان « عطاء الحراساني »
إلا المدينة ، فإن الله تعالى حرسها بقرشي

فقيه غير مدافع « سعيد بن المسيب » وهو من فقهاء المدينة ؛
جمع بين الحديث ، والتفسير ، والفقه ، والورع ، والعبادة (١ هـ .
وعن « عبد الرارق بن همام » عن مخمر قال :
سمعت « الزهري » يقول : أدركت من قريش أربعة بحور :

« سعيد بن المسيب » ، و « عروة بن الزبير » و « أبا سلمة بن عبد الرحمن » و « عبيد الله بن عبد الله بن عتبة »

وقال « الذهبي » . « سعيد بن المسيب » ثقة ، حجة ، فقه ، رفيع الذكر « رأس في العلم والعمل » .

وروى عثمان الخارثي عن أحمد بن حنبل قال : أفضل التابعين « سعيد بن المسيب » .

وعن مكحول قال : لما مات سعيد بن المسيب استوى الناس ، ما كان أحد يأف أن يأتي إلى خلقة سعيد بن المسيب ، ولقد رأيت فيها مجاهدًا وهو يقول : لا يزال الناس بخير ما بقى بين أظهرهم

وقد تساءل : لم هذا التقدير ؟ وقد سبق أن فصرناه ، ونزيد هنا الأمر إيضاحًا : كانت محالطة سعيد للناس عن طريق درسه ، وفي المسجد ، ومن قوله فيما رواه ابن سعد .

(ما أظنني بيت بالمدينة بعد منزلي إلا أني أتى لبي لي فأسلم عليها أحيانًا) .

وفي درسه لم يكن يسير على النمط التقليدي ، وإنما كان يتنهر كل فرصة لتوجيه الناس إلى الله تعالى .

يقول عاصم بن عباس الأسدي فيما رواه ابن سعد كان سعيد بن المسيب يذكر ويخوف .

(وكان لا يخاصم أحدًا ، ولو أراد إنسان ردائه - كما يقول عبد الله الحزامي - لرمى به إليه ؛ وكان من أرهد الناس في فضول الديار كما يقول ابن كثير وفي الكلام فيما لا يعني)

وكان يُمشي السلام ، وبصباح كل من لقيه .

وعن إفشاء السلام يقول رسول الله ﷺ فيما رواه أبو داود :
« والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا
حتى تحابوا ، أفلا أدلكم على أمر إذا فعلتموه تحاببتم ، افشوا السلام
بينكم » .

وكان لا يكلف أحداً شيئاً حتى في أئمة الأمور ، يروى صاحب
الخليه عن ابن حرملة قال : خرج سعيد بن المسيب في ليلة مطر ،
وطين ، وظلمة ، متصرفاً من العشاء فأدركه عبد الرحمن بن عمرو
ابن سهيل ومعه علام معه سراج ، فسلم عليه عبد الرحمن ومشيا
يتحدثان حتى إذا حاذى عبد الرحمن بداره انصرف إليها ، فقال
للعلام : امش مع أبي محمد بالسراج ، فقال سعيد : لا حاجة لي
بوركم ، نور الله غير من نوركم !!

ومع كل ما كان يتسم به من صلاة في الرأي ، ومن تشدد
في الدين ، فإنه ما كان مترماً ، وانظر إلى هذه القصة التي سار
فيها سعيد على أساس من قول رسول الله ﷺ :

« ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة »

وانظر إلى خطبتها الطيبة :

عن ابن حرملة قال : خرجت إلى الصبح ، فوجدت سكران ،
فلم أرل أحمره حتى أدخلته منزلي ، قال : ففقت سعيد بن المسيب
فقلت : لو أن رجلاً وجد سكران أيدفعه إلى السلطان فيقيم عليه
الحد ؟ قال : قال لي : إن استطعت أن تستره بثوبك فافعل .

قال : فرجعت إلى اليبس ، فإذا الرجل قد أفاق ، فلما رأي
عرفت فيه الحياة ، فقلت : أما تستحي ؟ لو أخذت البارحة لَحْدِيذَةً
فكنت في الناس مثل الميت ، لا تجوز لك شهادة ، فقال : والله
لا أعود له أبداً . قال ابن حرملة : فرأيت قد حمت حالته بعد .
أما موقفه من الشعر فمن :

عاصم قال : كان سعيد بن المسيب يحب أن يسمع الشعر ،
ولا ينشده .

وفي هذا المجال مجال عدم الترمت بروى طريقة ذكرتها
كتب الأدب ، (والعهد فيها على الراوى) .

ذكر عبد الله بن عمر العنبري قال : خرجت حليجاً ، فرأيت
امراً جميلة تتكلم بكلام أُرْقِشَتْ فيه ، فأدبيت ناقى منها ، ثم قلت
لها : أأنت حاجة ؟ أما تحافين الله ؟ .

فسفرت عن وجه يهر الشمس حساً ، ثم قالت :

تأمل يا عم ، فإنني ممن عنه العرجيُّ بقوله :

(أماطت كساء الخز عن حر وجهها

وأدنت على الخدين برداً مهلهلاً

من اللام لم يحجب عن بعين حسنة

ولكن ليقتل البريء المعفلاً)

قال : قت لها : فإني أسأل الله ألا يعذب هذا الوجه بالار
ويلخ ذلك سعيد بن المسيب رحمه الله ، فقال : أما والله لو كان

من بعض بعضاء العراق لقال لها : اعزبي قسحك الله ، ولكنه ظرف
عباد أهل الحجاز

ويروى صاحب الأغانى عن عبد الجبار بن سعيد المساجقى عن
أبيه قال .

دخلت مسجد رسول الله ﷺ مع نوفل بن مُساحق ، فإنه لمعتمد
على يدي إذ مررتا بسعيد بن المسيب في مجلسه وحوله جلساؤه ،
فسلمنا عليه فرد علينا ، ثم قال لنوفل : يا أبا سعيد من أشعر ؟
صاحبا أم صاحبكم ؟ يريد عبد الله بن قيس أو عمر بن أبي ربيعة ،
فقال لنوفل : حين يقولان : ماذا يا أبا محمد ؟ قال : حين يقول
صاحبا :

خليلي ما بال المطايا كأنما
نراها على الأقبار بالقوم تنكص
وقد قطعت أعناقهن صباية
فأنفسنا مما يلاقين شخص
وقد أتعب الحسادى سراهن واتحنى
بهن فحبا يألو عجول مقلص
يزدن بنما قرنا فيزداد شوقنا
إذا زاد طول العهد والبعد ينقص

ويقول صاحبك ما شئت .. فقال له نوفل صاحبكم أشعر في
العزل ، وصاحبا أكثر أفانين شعر . فقال سعيد : صدقت ، فلما انقضى
ما يسهما من ذكر الشعر ، جعل سعيد يستغفر الله ويعقد يده حتى
وفي مائة ، فقل البكرى في حديثه عن الجبار : قال مسلم : فلما انصرفنا

قلت لو قل . أترأه استعفر الله من إنشاد الشعر في مسجد رسول الله ﷺ ؟ فقال . كلا ، هو كثير الإنشاد والانسشاد للشعر فيه ، ولكن أحسب ذلك للمعتر بصاحبه^(١) .

ومن طابع سعيد بن المسيب :

« النعد » وله في العبادة ومفهومها بصيرة مشيرة ، ومقدمة للحديث عن العبادة تحدث عن بعض أحده بالسن يستبر فيها على مهج الاتباع .

يقول محمد بن هلال . (رأيت سعيد بن المسيب لا يحصى شاربته جداً ، يأخذ منه أخذًا حسنًا) .

وعن عاصم قال .

(رأيت سعيد بن المسيب لا يدع طهره يطول) .

(ورأيت يصفح كل من لقيه)

(ورأيت سعيدًا يكره كثرة الضحك)

(ورأيت سعيدًا يتوضأ كلما بال ، وإذا توجهاً شكت بين أصابعه) .

أما العبادة فإن بكر بن خبيش سأل قائلاً .

(فما النعد يا أبا محمد ؟ قال النكر في أمر الله ، والورع عن محارم الله ، وأداء فرائض الله تعالى)^(٢)

(١) ج ٢ ص ٢١٨ ط المطبعة المصرية للتأليف والنشر سنة ١٣٩٠

(٢) الخلية .

ذكر ذلك صاحب الحلية ، وذكر أيضاً أنه مشى مرة أخرى
عن العبادة ، فقال :

(العبادة انتمق في الدين ، والتفكر في أمر الله تعالى) .

وعن معاذ بن هشام قال : حدثني أبي عن قتادة قال - قال
سعيد بن المسيب ذات يوم :

(ما نظرت في أقاء قوم سبقوني بالصلاة منذ عشرين سنة) .

ويعنى بقوله - (ما نظرت في أقاء قوم) : أنه كان دائماً في
الصف الأول في المسجد .

أما يوم الجمعة فيذكر ابن سعد :

عن عطاء ، أن سعيد بن المسيب كان إذا دخل المسجد يوم
الجمعة لم يتكلم كلاماً حتى يفرغ من صلاته ، ويصرف الإمام ،
ثم يصلي ركعات ، ثم يقبل على جلسائه ويسأل

ويذكر صاحب الحلية الطرفة التالية :

عن ابن حرملة قال :

حفظت صلاة ابن المسيب ، وعمله بالنهار ، فسألت (بُرد)
خادمه عن عمله بالليل ، فأجبنى فقال :

كان لا يدع أن يقرأ (بصاد والقرآن ذى الذكر) كل ليلة فإذا
ما وصل إلى آية السجدة سجد ، وقال : فسأله عن ذلك فأخبر
أن رجلاً من الأنصار صلى إلى شجرة فقرأ بصاد ، فلما مر بالسجدة ،
سجد وسجدت الشجرة معه ، فسمعها تقول :

(اللهم اعطني بهذه السجدة أجراً ، وضع عني بها وزراً ،
وارزقني بها شكراً ، وتقدها مني كما تقبلتها من عندك داود)
ويقول صاحب الحلية :

قال سعيد بن المسيب :

(من حافظ على الصلوات الخمس في جماعة فقد ملأ الر
وابحر عبادة)

ولكن الصلاة بالنسبة لسعيد كانت قرّة عين له
روى عن إسماعيل بن أمية عن سعيد بن المسيب هذه الكلمات
الحصيلة قال :

(ما دخل على وقت صلاة إلا وقد أخذت أهبتها ، ولا دخل
على أداء فرض إلا وأنا إليه مشتاق) .

ومما يبين مدى حرص سعيد على الصلاة ما رواه كثير من مؤرخيه
بصارات مختلفة كثيرة مستفيضه ، ومن ذلك بعض ما رواه صاحب
الحلية ، ونمودج لما كتبه الكثيرون عن سعيد وموقفه من الصلاة .
قال (ابن سهيل عثمان بن حكيم) سمعت سعيد بن المسيب
يقول :

(ما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد !!)
وعن ميمون بن مهران أن سعيد بن المسيب مكث أربعين سنة
لم يلق القوم قد خرجوا من المسجد وفرغوا من الصلاة
وعن عبد الرحمن بن حرملة عن (برد) مولى ابن المسيب قال .

(ما يردى للصلاة منذ أربعين سنة إلا وسعيد في المسجد)

وبذكر صاحب الخلعة ما يلي :

حدث حاتم بن داود (يعنى ابن أبي هند) - عن سعيد بن المسيب قال .

(ما بقطع الصلاة ؟ قال : المجور ، ويسترها التقوى) .

ويحتم الحديث عن صلاة سعيد بهذه الكرامة الكريمة اتى أورها صاحب الخلعة :

عن يحيى بن سعيد بن المسيب عن أبيه عن سعيد بن المسيب قال :

دخلت المسجد فى ليلة ، أصحيان ، قال : وأظن أنى قد أصبحت فإذا الليل على حاله ، نفقت أصلى ، فجلست أدعو فإذا هاتف يهتف من خلفى : يا عبد الله قل :

قلت : ما أقول ؟

قال : قل : (اللهم إنى أسألك بأنك مالك الملك ، وأنت على كل شيء قدير ، وما تشأ من أمر يكن) ، قال سعيد :

(وما دعوت بها قط لشيء إلا رأيت نجاحه)

كان سعيد بن المسيب يقوم بالصلاة على هذا النسق إذا كان مقيماً بالمدينة ، ولكنه فى أسفاره كان أيضاً حريصاً كل الحرص على صلاة الجماعة .

أما الصوم فيذكر ابن سعد :

(كان سعيد بن المسيب يسره الصوم ، فكان إذا غابت الشمس أتى بشراب له من منزله إلى المسجد يشربه)
وكذلك حدث يزيد بن أبي حازم أن « سعيد بن المسيب كان يسره الصوم » .

ويكفيها فيما يتعلق بالحج ما حدث به سليمان بن أبي بلال عن ابن حرملة قال :

سمعت سعيد بن المسيب يقول : (لقد حججت أربعين حجة)
هذا ولا يأتي أن نتحدث عن طابع سعيد دون أن نتحدث عن موقفه من النساء ، وعن رأيه في فتنة النساء
ولا يتأتى أن نتحدث عن رأيه في ذلك ، دون أن نبين موقف الإسلام في إيجاز موجز - من هذا الموضوع الذي عمت ببواه وكثر فسادة ، وأصبح فتنته تكاد تسط سوءها في كثير من الأجواء في مجتمعنا الحاضر .

سعيد بن المسيب والنساء :

إن للإسلام موقفاً واضحاً لما ينبغي أن تكون عليه المرأة من حشمة ، ومن كمال ، ومن أدب ، ومن عفة .

وللإسلام موقفه الواضح فيما يتعلق بالصلة بين الرجل والمرأة .
وما من شك في أن الكثير من النساء قد استجس لله ولرسوله والتمس أوامر الله ورسوله التزاماً وضعهن في الدرجة الأولى من رتبة المؤمنين .

ولقد نحدث الله سبحانه وتعالى عن بعض النساء في القرآن الكريم ،
شيئاً أو مستذكراً ، يقول سبحانه :

﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةٌ زَوْجٌ وَامْرَأَةٌ لُوطٌ ، كَانَتْ
تُخْتِ عِبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ ، فَخَاتَمَاهُمَا فَلَمْ يَحْصِبَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا ، وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاهِلِينَ﴾^(١) .

﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةٌ زَوْجٌ إِذْ قَالَتْ : رَبِّ
إِنِّي لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ، وَبِجَنِّي مِنْ زَوْجِي وَعَمَلِي ، وَتُخَنِّي
مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٢) .

﴿وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَيْنَا فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا
وَصَلَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُنْهَ ، وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾^(٣)

ولمريم رضي الله عنها يقول تعالى :

﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ،
يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾^(٤) .

ويقول في موضع الحشمة :

﴿وَلْيَصْرِنَ بَخْمَرٍ عَلَى جَبْوَهِنَ ، وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ
إِلَّا لِعَوْلَتِهِنَّ ، أَوْ آيَاتِهِنَّ ، أَوْ آيَاءَ عَوْلَتِهِنَّ ، أَوْ أَبَائِهِنَّ ، أَوْ أَبْنَاءَ
عَوْلَتِهِنَّ ، أَوْ إِخْوَانِهِنَّ ، أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ ، أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ ، أَوْ

(١) التحريم : ١٠ .

(٢) التحريم : ٦١ .

(٣) التحريم : ٦٢ .

(٤) آل عمران : ٤٢ ، ٤٣ .

سائهن أو ما منك أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال
أو الطفل الدين لم يطهروا على عورات النساء ، ولا يصرين بأرجلهن
ليعلم ما يحصن من زبتهن ، وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون
لعلكم تفلحون ﴿١﴾ .

وإذا كان يقول لئنساء الرسول ﷺ :

﴿فلا تحصن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض ، ومن هو
معروفا﴾ ﴿٢﴾ .

ويقول تعالى :

﴿وإذا سألتهم متاعاً فاسألوه من وراء حجاب ، ذلكم أطهر
لقلوبكم وقلوبهم﴾ ﴿٣﴾ .

إذا كان ذلك لئنساء الرسول ﷺ ، فغيرهن من باب أولى .

وأما الصلة الجنسية المحرمة ، فيقول سبحانه فيها :

﴿الرانية والزانية فاحلداوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم
بهما رافة في دين الله ، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد
عذابهما طائفة من المؤمنين﴾

﴿الزاني لا ينكح إلا رانية أو مشركة ، والرانية لا ينكحها إلا زان
أو مشرك ، وحرم ذلك على المؤمنين﴾ ﴿٤﴾ ، وقد أوضحت السة

(١) النور : ٢١ .

(٢) الأحزاب : ٣٢ .

(٣) الأحزاب : ٥٣ .

(٤) النور : ٢ ، ٣ .

القرآن الكريم ، وأبانت الكثير مما أجمله ، وذكر من ذلك بعض مظاهر الجور الإسلامي بالنسبة للمرأة .

١ عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال . قال رسول الله ﷺ :

« حِفْظَانِ مِنَ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا :

قوم معهم سياط كأذياب ابقر يصربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، مميلات مائلات ، رءوسهن كأسمة البحت المائلة ، لا يدخلن الحة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا . » [رواه مسلم] .

٢ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ :

« لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر سفراً يكون ثلاثة أيام فصاعداً إلا ومعها أبوها ، أو أخوها ، أو زوجها ، أو ابنها ، أو ذو محرم معها »

[رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه]

٣ عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال :

« لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر ثلاثاً إلا ومعها ذو محرم معها » . [رواه البخاري ومسلم وأبو داود] .

٤ عن أبي سعيد ، أن رسول الله ﷺ قام خطيباً فكان فيما قال :

« إن الدنيا خضرة حلوة ، وإن الله مستحلفكم فيها فطاطر كيف تعملون ، ألا فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء »

[أخرجه ابن ماجه في باب فتنة النساء] .

٥ - عن أسامة بن زيد قال - قال رسول الله ﷺ - « ما أَدْعُ بعدى فتنة أضُرَّ على الرجال من النساء » [رواه ابن ماجه والترمذى مع اختلاف يسير فى الألفاظ ، وقال عنه حسن صحيح] .

٦ - روى أن أبا هريرة لقي امرأة متطيبة تريد المسجد ، فقال يا أمة الجبار أين تريدين ؟ قالت - المسجد ، قال - وله تطيب ؟ قالت - نعم ، قال - فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : (أيما امرأة تطيبت ثم خرجت إلى المسجد ، لم يقبل لها صلاة حتى يغتسل) [رواه ابن ماجه] .

٧ - عن عبد الرحمن بن شبل رضى الله عنه قال . سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول

« إن الفساق هم أهل النار ، قالوا يا رسول الله ، وما الفساق ؟ قال - النساء . قال رجل - يا رسول الله ، أليس أمهاتنا ، وأخواتنا ، وأرواحنا ؟ قال بلى ، ولكنهن إذا أعطين لم يشكرن ، وإذا ائطين لم يصبرن » [هذا حديث صحيح على شرط الشيخين] .

٨ - عن الطفيل بن أبي بن كعب ، عن أبيه ، رضى الله عنه ، قال يسا نحى مع رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، فى صلاة الطهر والناس فى الصفوف خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فرأيت رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ،

يتناول شيئاً فجعل يتناوله فتأخر ، وتأخر الناس ، ثم تأخر الثانية ، فتأخر الناس ، فقمت يا رسول الله ، رأيتك صنعت اليوم شيئاً ما كنت تصنعه في الصلاة ؟ فقال : « إنه عرضت على الجنة بما فيها من الرهرة والنضرة ، فتناولت قطعة من عثها ، ولو أحدثته لأكل منه من بين السماء والأرض لا يتقصونه ، فحيل بيني وبينه ، وعرضت على النار ، فلما وجدت سفعتها تأخرت عنها ، وأكثر من رأيت فيها النساء ، إن اتعن أفشين ، وإن سألن ألحسن ، وإذا مثلن بخلن ، وإذا أعطين لم يشكرن » .

[حديث صحيح على شرط البخارى ومسلم] .

٩ - عن عبد الله أن النبى ، ﷺ ، قال « لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات ، ميتغيات لحسن ، مغيرات خلق الله . [الترمذى حسن صحيح] » .

« المتنصة : التى تزيل شعر وجهها أو جبيها بحيط أو نحوه » .

١٠ - عن ابن عمر رضى الله عنه ، عن النبى ، ﷺ ، قال : « لعن الله الواصلة والمستوصلة ، والواشمة والمستوشمة » . [الترمذى حسن صحيح] .

الواشمة : التى تجعل الوشم على ذراعها ، أو على جزء آخر من جسمها .

والمستوشمة هى التى تطلب من يفعلها ذلك .

الواصلة من النساء . التى تصل شعرها بشعر غيرها

قال أبو عبيد - هذا هي الشعر ، ودلت أن تصل المرأة شعرها
بشعر آخر زوراً ، وروى في حديث آخر :

« أيما امرأة وصلت شعرها بشعر آخر كان زوراً » [لسان العرب]

١١ - عن ابن عباس قال . لعن رسول الله ، ﷺ ، المتشبهات
بالرجال من النساء ، والمتشبهين بالنساء من الرجال . [حسن صحيح]

١٢ - وفي رواية عنه . لعن رسول الله ، ﷺ ، المختلين من
الرجال والمرجلات من النساء [حسن صحيح]

١٣ - عن أبي موسى عن النبي ، ﷺ ، قال :

« كل عين رانية ، والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي
كذا وكذا » ، يعنى زانية . [حسن صحيح]

١٤ - روى مسلم بسنده ، عن ابن عباس قال . سمعت النبي ،
ﷺ ، يخطب يقول : « لا يحسن رجل بامرأة إلا ومعهما ذو محرم ،
ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم ، فقام رجل فقال : يا رسول الله ،
إن امرأتى خرجت حاجة ، وإني اكتسبت في عزوة كذا وكذا ،
قال : انطلق فحج مع امرأتك ... » .

وقد يظن بعض الناس أن الإسلام بالغ في الحفاظ على المرأة ،
ونقول . إن كل مبالغة في الحفاظ على المرأة هي تكريم لها ،
بيد أنه إذا أحب الإنسان أن يأخذ صورة لما عساه أن تبلى فتنة
النساء فليقرأ شعر « عمر بن أبي ربيعة » - وهو شعر واقعي -
وليظهر مدى استحابة النساء له ، وإنه ليصل الأمر بهن أن يتعرض
له ، وأكثر من ذلك كن يستقدمه إليهن .

أو لينظر قول بشار في فحشه وبذاءته :

لا يؤيسنك من محذرة قول تغلطة وإن جرحا
عمر النساء إلى مياسرة والصعب يمكن نسما جمحا

أو قول الآخر : في وقاحه وتسفله :

إن النساء وإن وصفن بعمّة فيما يظهر في الأمور ويكنم
لحم أطاف به سباع حوّج ما لا يناد قائله يتقسم
اليوم عندك دلتاً وحديثها وغدا لغيرك كفها والمعصم
كالجسان نسكنه وترحل عادياً ويحل بعدك فيه من لا تعلم

ولقد كان كل ذلك أيام أن لم تكن مشيرات « السينما » والتلفزيون
والأدب المكشوف ، وقد كان ذلك أيام أن لم يكن الاخلاط في
الجامعات وفي المكاتب .

وكان ذلك أيام أن كان نظام « السكرتيرات » لا وجود له .

وكان ذلك أيام أن لم تكن « الموصة » الخاضعة دائماً لمجلات
الأرياء التي يديرها اليهود ، ويحاولون عن طريقها نشر الفساد بأحبث
الوسائل .

ولقد وصل الأمر الآن بالنساء أن يذهبن إلى الشواطئ ويتعريين ،
ويكشفن عما وجب أن يستر ، والغريب في الأمر أن أرواحهن أو
آباءهن أو إخوانهن يرون ذلك ويرصون عنه

لا دين ، ولا فضيلة ، ولا شهامة ، ولا مروءة : لحم عار ،
ينظر إليه العادي والرائع دون حجل أو حياء .

ونسقط الفتاة ولو الأخرى هي الرذيلة ، بل يسقط ررافات
ووجدانا .

يسقط على الشاطئ ، وفي الجامعة ، وفي مقر الوظيفة ، فضلاً
عن سقوطهن في الشارع وفي السهرات التي تتعري الطهور فيها ،
وأعلى الصدور .

والحديث عن ذلك يطول :

وكل أب ، وأخ ، وابن مسئول عن محيطه ورعيته .

ومح الآل أن نذكر كلمات عن رأى « سعيد بن المسيب »
الذي كان كل ما سبق تمهيداً وتريراً لرأيه ، إنه يقول

« قد بلغت ثمانين سنة ، وما شيء عندي أخوف من النساء »
وكان بصره قد ذهب ، ويقول فيما حدث « على بن يزيد » :

« ما أيسر الشيطان من شيء إلا أنه من قبل النساء » .

وقال على بن يزيد ، « أخبرنا » سعيد « - وهو ابن أربع وثمانين
سنة ، وقد ذهبت إحدى عينيه ، وهو يعيش بالأخرى .

« ما شيء أخوف عندي من النساء » .

وقال « سعيد بن المسيب » :

« ما حمت على نفسي شيئاً مخافة النساء ، فقالوا له . يا أبا محمد ،
إن مثلك لا يريد النساء ، ولا تريده النساء !

قال : هو ما أقول لكم .

قال الراوى . وكان شيخاً كبيراً أعمش .

والسؤال الآن هو

أكان « سعيد بن المسيب » مخطئاً ؟

ألا تستعمل النساء الآن فيما ينأس منه الشيطان ؟

ألا تستعمل في التجسس ، وفي قيادة الرجال إلى ما يرد ،

وفي مآرب لليهود والأعداء المفسدين ؟

اللهم إنا نستعينك ونستهديك ، ونستغفرك ، ونرجو أن تهدي

الأمة الإسلامية إلى الطريق المستقيم ، وأن تسير بها في سبيلك الطاهر ،

إنك سميع قريب مجيب .

الفضل الثالث امتحان ومحنة

(١) امتحان ومحنة :

إن « سعيد بن المسيب » من كبار أئمة العلماء في الحديث ،
وهو الفقيه ، وقد ولد كما يقول : لستين مضتاً من خلافة
« عمر بن الخطاب » ، رضى الله عنه ، وقد نيفت حياته على الثمانين
سنة .

ويتحدث عنه صاحب الحلية فيقول :

« أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن المحزومى » ، كان من
الممتحنين : امتحن فلم تأخذه في الله لومة لائم !

ونحب في ابتداء الحديث عن امتحان « سعيد بن المسيب » أن
بدأ ببيان صفة من أهم صفاته ، وهى : صفة الاستمسك بالحق !
وهو فى هذا الاستمسك ، بالحق لا يقص عن الإمام « أحمد بن
حنبل » ، ولا عن الإمام « سفيان الثوري » .

وإذا كان لهدين الإمامين الجليلين - اللذين أتيا بعده ، ولغيرهما
من الذين آثروا رضوان الله على متاع الدنيا - من قدوة ، فإن قدوتهم
الأولى رسول الله ، ﷺ ، الذى عرضت عليه الدنيا ممثلة فى الملك
والمال والرياسة و . الخ ، فقال مقالته التى ساربت مسير الصوء

« والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته ، حتى يظهره الله ، أَوْ تهلك دونه ! »
وقدوتهم من بعده ، عليه السلام ، « الصديق » !

« الصديق » الذي قال حين ارتد بعض الأعراب - بامتناعهم عن أداء الزكاة - ما معناه :

« والله لو لم يحرح أحد لحربهم لحرجت إليهم وحدي ! »
ولقد سار كثير من أسلافنا وعصائنا على هذا النهج المؤمن ،
الذي لا يزال في سبيل الله بما يصيبه ، « ذلك بأنهم » .

« لا يصيبهم ظمأ ، ولا نصب ، ولا مخصصة في سبيل الله ،
ولا يطؤون موطئ يعيظ الكفر ، ولا ينانون من عدو يلاً إلا كتب لهم به عمل صالح سورة التوبة (١) » .

وكان يكفى الإمام « أحمد » أن يقول . « القرآن مخلوق » ،
أو يقول كلمه تعبر عن تورية ، مجرد كلمة مشتبهة ، فيرفع عنه
العداب والتسكيل ، ولكنه أبى إزاء المؤمنين المعترين بالله ، وأدخل
السجن وصرب بالسياط فلم ينل ذلك من عزيمته ولا قلامة ظفر !
ونحن نعتز بالإمام « أحمد » كصورة كريمة للحرمة التي لا تلين
في سبيل ما تراه حقاً

ولقد نادى « أبو جعفر المنصور » يوماً :

« إذا رأيتم « سفيان الثوري » فاصليوه » !

(١) التوبة : ١٢٠ .

وكان هذا أمراً بكل الولاية والحكام بالقصص عليه وصلبه ، وكان يكفى « سعيان » أن يقول كلمات هية في مدح « أبى جعفر » فيعفو عنه ، ويحول له العطاء من عرض الدنيا ، ولكنه لم يقل شيئاً ونجاه الله تعالى ، ومات « أبو جعفر المصور » ولم يصب « سفيان الثوري » بسوء ، وعاش بعد أبى جعفر سناً !

وأما « سعيد بن المسيب » فيقول المؤرخون عنه -

« إن نفسه كانت أهون عليه في سبيل الله من نفس ذبابة » ، لقد باع نفسه في سبيل الله ، فما كان يحبه قط . أوقع على الموت أم وقع عليه الموت ، وما كان يبالي في سبيل الله على أى جنبه كان مصرعه !

لقد درس سنة رسول الله ﷺ ، كأعمق وأحسن ما تكون الدراسة ، ودرس سيرة رسول الله ﷺ ، كأعمق وأحسن ما تكون الدراسة ، ودرسته السنة ، ودرسته السيرة الشريفة هما آثارها الكثيرة .

وقد سبق أن كتبنا في السنة ودراسنها كلمات بعيد جزءاً يسيراً منها ، هنا :

« إن السنة : دعوة بالحسنى إلى الرقى الأخلاقى الذى تجرى وراءه الإنسانية المهيبة ، إنها دعوة إلى التاجر أن يكون صدوقاً ، فيحشر مع البين والصديقين والشهداء والصالحين .

وإلى العامل . أن يتقن عمله ، لأن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه !

وإلى الصانع : أن يؤدي العمل كما يجب ، حيث أخذ الأجر ،
ومن أخذ الأجر حاسبه الله على العمل !

وهي دعوة إلى الأب ، باعتباره أباً ، وإلى الأم في وضعها كأم ،
وإلى الأخ في مهمته كأخ ، وإلى غيرهم من أفراد المجتمع . أن
يرعى كل منهم ما وكل إليه من أمر رعيته ؛ لأنه مسئول عن رعيته ،
« وكلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته » !

وهي دعوة للناس إلى الأمانة ، حيث أنه « لا إيمان لمن لا أمانة
له » !

وإلى الصديق : « وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله
صديقاً » !

وإلى الرحمة - الرحمة العامة الشاملة وصلوات الله وسلامه
على من قال : « إنما أنا برحمة مهداة » .

ومن قال : « ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » !
وخذ أى خلق كريم تسمي أن يسير عليه المجتمع ، فستجد
في السنة دعوة إليه بهيمنة وبخيرية ، وبثالثة .

وهي في هذه الدعوة تبه دائماً إلى دور الأمة الإسلامية في
الاخلاق العالمية ، إن دورها : إنما هو دور الرائدة الراعية ، وعلى
الرائد دائماً أن يكون المثل الأعلى والأسوة الكريمة ، والقذوة الصالحة .

ولقد كان رسول الله ، ﷺ ، بصورة الحية الناطقة التي طبقت
كمبادئ إنسانية ، ممكنة . الخلق الذي رسمه الله وأحبه للإنسانية
جمعاء ، والذي عبرت عنه السنة أحمل تعبير وأبلغه » !

درس الإمام « سعيد » السنة ، وتشرى روحه بها ، ودرس
سيرة ، رسول الله ﷺ ، واتخذها سراً يهتدى بصوته ، فكان
يعتر بالله ، ويتوكل عليه ، ويرحوه وحده ، وحينما تقارم به
الأوضاع لا يلجأ إلا إليه ، سبحانه !

هذا الاعتزاز بالله ، رطبه الكرامة الإسلامية لم يألفها أهل الدنيا ،
وأصحاب الأهواء والشهوات ، وعبيد الأموال ، وعبيد الجاه !
وكثير من هؤلاء لم يفهموا الإمام « سعيد » على حقيقته !
وكثير منهم كان يثور العجب في نفسه لتصرفات الإمام !
وكثير منهم كان يعهم ، ولكنه ما كان يستطيع أن يجارى الإمام
فى الاعتزاز بالله سبحانه !

وما كان امتحان الإمام - الذى ذكره صاحب الحلية - إلا ناشئ
عن اختيار « سعيد » لطريق حزب الله !
أندرى من هم حزب الله ؟ !

إن الله سبحانه وتعالى بين صفة حربه فقال تعالى
﴿ لا يجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادَّ الله
ورسوله ولو كانوا آباءهم ، أو أبناءهم ، أو إخوانهم أو عشيرتهم ،
أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأبدىهم بروح منه ، ويدخلهم جنات
نجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ، ورضوا عنه ،
أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ (١)

(١) المجادلة : ٢٢

كان الإمام من حزب الله ، ومن كان من حزب الله يحس بالله تعالى ناظرًا إليه في كل وقت ، ومعه في كل وقت . ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ (١) .

فلا يفعل إلا ما يرصده سبحانه . إنه لا يتملق ، ولا يدهس ، ولا يأتي بما يفضب الله تعالى ، فإذا كان عالمًا سار في حياته على أنه من ورثة الأنبياء ، كما يقول رسول الله ، ﷺ :

« ... وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهما ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر »

وعن العلم والعلماء يتحدث القرآن الكريم ، وتتحدث السنة النبوية الشريفة في استفاضة .

كان الإمام هـ سعيد بن المسيب « . يعيش في حياته على الأسوة برسول الله ، ﷺ ، كما ذكرنا ، ومن هنا كان يعرف لنفسه كرامتها ، ويعرف لها طريقها في الحياة .

ومن هنا أيضًا كان بينه وبين الحكام الذين لا يسرون على نهج الشرع خصومة دائمة

لأن الحكام العادلين ، فإنه كان يكرهم بكل خير ، وكان يلين لهم ، بل ويؤوئهم .

لقد كان « عمر بن عبد العزيز » رضى الله عنه يقدر « سعيد بن المسيب » ، وكان « سعيد » يقدره ويحبه ، ويتحدث عنه

(١) الخليل ، ٤

أما أبو أمية ، وهو مروان على الخصوص ، فإنه كان يتعد عنهم ،
دون أن يصرفه ذلك عن قول الحق .

ومن طريف ما حدث يوماً أن « عبد الملك بن مروان » جاء
إلى مدينة رسول الله ، ﷺ ، يتفقد أحوالها ، وأحب أن ينام في
الظهيرة ، كمعادته ، « فامتعت منه القائلة » . ولم يجد للنوم من
سبل ، فقال لحاجبه :

انظر هل في المسجد أحد من حداثا من أهل المدينة ؟ ، فخرج
الحاجب إلى المسجد ، فوجد « سعيد بن المسيب » في حلقة له ،
فوقف بحيث يراه « سعيد » ، ولما نظر إليه « سعيد » عمره بعينه ،
وأشار إليه بإصبعه : **أليس اتبعني** « ثم ولى » ، واعتقد الحاجب أن
« سعيداً » يتبعه !

ومن الذي يمتنع عن إشارة صاحب الحليفة ؟ إن إشارته تكفى
لأن يهرول من أشد إيماءه ، خاضعاً مسروراً !

ولكن الحاجب نفث قلم ير « سعيداً » على أثره !

إن سعيداً لم يتحرك ، ولم يتبعه ، فدهش الحاجب ، وقال في
نفسه :

« أراه لم يعطى إلي » ، فحاء ودعا منه ، وقال له :

ألم ترتني أشير إليك ؟

قال « سعيد » وما حاجتك ؟

قال : استيقظ أمير المؤمنين فقال . انظر في المسجد أحداً من
حدّائي فأجبه أمير المؤمنين !

قال « سعيد » : هل أرسلك إلى ؟

قال لا ، ولكن قال . اذهب فانظر بعض حدّائنا [محدّثينا] من
أهل المدينة ، فلم أر أحياً منك !

فقال « سعيد » والهدوء يملؤه اذهب فأعلمه أني لست من
حدّائه !

وغمر الخاجب تياراً من الدهشة ، إذ لم يكن يعرف الإمام
من قبل ، وحرص وهو يقول : « ما أرى هذا الشيخ إلا مجنوناً » !
وانته لمجنون في عرف عبيد الدنيا ، ولكنه في أعراف الحق
يسير على هدى من قوله تعالى : ﴿ إِن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ .
وذهب الخاجب إلى « عند الملك » فقال له :

« وجدت في المسجد إلّا شيخاً أشرت إليه قدم يقيم ، فقلت
له : إن أمير المؤمنين قال انظر هل ترى في المسجد أحداً من
حدّائي ؟

فقال : إني لست من حدّات أمير المؤمنين ، وقار لي أعلمه !
وكان عند الملك ذكياً عطفاً ، فقال : ذلك « سعيد بن المسيب »
فدعه !

(٢) امتحان ومحنة :

وقصة أخرى . قبل أن نتحدث عن « امتحانه » ، نتبين منها إحدى الصفات الأصيلة لى « سعيد بن المسيب » ، وهى . أنه ما كان يقيم وزناً إلا للمعتقين !

أما الجاه . والمنصب . والرياسات على اختلاف أنواعها ، فإنه كان أكرم على نفسه من أن يدهس ، أو يوافق ويتملق ، وهذه القصة رواها « صالح بن كيسان » :

كان « عمر بن عبد العزيز » ، رضى الله عنه ، والياً على المدينة - وذلك قبل أن يتولى الخلافة - وحاء الخير لعمر رضى الله عنه أن « الوليد بن عبد اسك » قادم إلى المدينة ، فخرج « عمر » ومعه عشرون رجلاً من أعيان قريش لاستقبال « الوليد » ، وكان الاستقبال خارج المدينة على بعد ليكتين منها ، إنهم انتظروه فى « السويداء » .

وقبل وصولهم إلى المدينة بقليل ، أحلى مسجداً رسول الله ، ﷺ ، فأخرج الناسُ منه ، فما ترك فيه أحد ، وبقي « سعيد بن المسيب » فى مصلاه ، ما يجترئ أحد من الحرس أن يخرجده !

فلما دخل « الوليد » المدينة غداً إلى المسجد الشريف ، فقيل لسعيد : لو قمت ، فقال :

والله لا أقوم حتى يأتى الوقت الذى كنت أقوم فيه !

قيل له : فلو سلمت على أمير المؤمنين !

قال : والله لا أقوم إليه !

وكان « عمر بن عبد العزيز » في شيء من الحرج وإشفاق ،
إنه يقول « فجعلت أعدل » بالوليد « باحبة المسجد : رجاء ألا
يرى « سعيداً » حتى يقوم . فحانت من الوليد نظرة إلى القبة فقال
من الجالس ؟ أمر الشيخ « سعيد بن المسيب » ؟ ! فجعل
« عمر » يقول : نعم يا أمير المؤمنين « من حاله ، ومن حاله ... »
وخذ يحذنه عن صفات « سعيد » ولو علم بمكانة لقام فسلم
عليك ، وهو ضعيف البصر

قال « الوليد » قد علم حاله ، ونحن نأتيه فسلم عليه !
ثم دار « الوليد » في المسجد حتى وقف على الضريح الشريف ،
ثم أقبل حتى وقف على « سعيد » ، فقال :
« كيف أنت أيها الشيخ » ؟

يقول « عمر » فوالله ما تحرك « سعيد » ولا قام ، فقال :
بحير ، ولحمد الله ، فكيف أمير المؤمنين ، وكيف حاله ؟
قال « الوليد » : بخير ، ولحمد الله .

وانصرف « الوليد » !!

ماذا كان شعوره ؟ ما الذي أحس به ؟

إن « سعيداً » كان قد عُرف في عهد « الوليد » ، وكانت أحواله
وصفاته قد استقرت في أذهان الناس . لقد عُرف أن « سعيداً » ليس

رجل مؤامرات ، ولا تطلعات إلى حكم أو منصب ، أو رئاسة ، وأن
هـ كل هـ تحقيق التقوى والقرب من الله تعالى ، والهداية إلى الصراط
المستقيم ، وما كانت الدنيا في نظره إلا معبراً للآخرة

كل ذلك كان قد عُرف معرفة تامة في أيام « الوليد » ، ولذلك
لم يغضب « الوليد » ، ولم يحدث في نفسه ضيق من أمر « سعيد » ،
كان تعليقه الذي قاله لعمر :

« هذا بقية النمس ! »

وهو تعبير يطلق في معناه ما تقوه نحن الآن عن رجل نقي .

« هذا بقية السلف الصالح »

وأجاب « عمر » : أجل يا أمير المؤمنين .

والواقع أن الطريق الذي سار فيه « سعيد بن المسيب » من البعد
عن شهوة الحكم وعن حب الرياسة ، وعن المؤامرات والانتقابات :
هو الطريق السليم ، والعالم الإسلامي هو وريث ، رسول الله ،
ﷺ ، في الدعوة ، وهو حسيماً ينجح في هداية المجتمع يكون قد
وصل إلى ما يصبو إليه من الهداية في الأحكام ، وإذا صلح المجتمع
كأفراد ، فإنه لا بد وأن يصلح كمحكام ؛ ولكن شهوة الحكم غلبة ،
وهي إذا دخلت على العلماء أفسدتهم ، وأفسدت المجتمع معهم ،
وثارت حرب عوان بينهم وبين الحاكمين ، وهي عادة تكون وبالاً
على العلماء ، أكثر مما تكون وبالاً على الحاكمين ؛ ولكن إذا اطمأن
الحكام إلى الرايا السليمة للمصلحين الداعين إلى الله تعالى ، وإلى

تحكيم كتابه الكريم ؛ والاقتداء برسوله ، ﷺ ؛ وإذا التزم العلماء السلوك الصالح ، ركزوا أنفسهم للعلم النافع ، وأخلصوا وجوههم لله في الدعوة إليه ، وإلى العمل بشريعته . فإن أثرهم عند الشعب وعند الحاكمين يكون أثرًا قويًا ، ينتهي عادة بصلاح المجتمع ، رعية ورؤساء .

يقول سادتنا الصوفية إن الإنسان حينما يوفقه الله للأخذ في طريقه سبحانه ، فإنه يبدأ بنقض الرذائل رديئة وذيلة ، ولكن إحدى هذه الرذائل تستعصى عليه وتثبتي ، وهي ذيلة حب الرياسة ، فإذا ما أحلص القلب لله ، ونقص هذه الرذيلة ، فإنه يصبح من المحلصين المخلصين .

وحب الرياسة يظهر أحيانًا في صور هية ، مثل أن يحب الإنسان مدح نفسه ، فلا تكاد تجلس معه حتى يكون مدار الحديث عن نفسه . وحتى يكون هو مركز الدائرة في الحديث ، إنه فعل كذا ، وقام بكذا ، وقال كذا ؛ وهكذا دواليك ، وهذا الصنف ليس له في الإخلاص نصيب وافر .

ولكن حب الرياسة الحقيقي هو أن تنازع أصحاب المراكز مراكزهم بالمؤامرات ، والانقلابات ، والمكر ، والخديعة ، وكلما دخل ذلك في حو الدعوة أفسدها .

ونأى « سعيد بن المسيب » بنفسه عن ذلك ، وأحصى وجهه للدعوة ، ولكنه قد أصابه - من شرر الرياسة والحكم والسياسة - الشيء الكثير .

لم يكن يدخل في العياصة ، ولكنه أحياناً كان يدعى إلى عمل يعتقد أنه منافع للمدين ، فيأتي ،

كان الامتحان والابتلاء يدخل عليه دون أن يحاول هو الدخول فيه ، وكان أشد ما لقي في ذلك هو من هؤلاء الذين يتنازعون الحكم ، وتتمكن من نفوسهم شهوته ، ويريدون أن يستنصروا « بسعيد بن المسيب » على ما يريدون ،

وبصادف أن يكون اليقين عند « سعيد » في رأيه يخالف ما يطلبون ، فيكل به ، وهو أعزل ، ويُسَاء إليه ، وهو ليس بصاحب شر ، وأول ما ناله من ذلك على يد الوالي من قبل « عبد الله بن الزبير »

لقد ثار « عبد الله بن الزبير » على الأمويين . ودعا لنفسه بالخلافة ، وبايعه خلق كثير ، ولكن امتنع عن البيعة البعض ، ومن هذا البعض . « عبد الله بن عمر » .

و « سعيد بن المسيب » .

أما « عبد الله بن عمر » فلم يتعرض له « ابن الزبير » ، بل كان رفيقاً به ، ولا يأتي غير ذلك مع « عبد الله بن عمر » . فإنه رجل وهب نفسه لله ، لا ينظر إلى دنيا ، ولا إلى منصب ، ولا إلى جاه ، وكان الناس جميعاً يحترمونه لكثير من صفات الخير فيه ، ومركز الدائرة في صفاته أنه كان يتحرى تحرياً تاماً ما كان يفعله الرسول ﷺ ، في حياته ، ويحاول - ما استطاع إلى ذلك سبيلاً - أن يفعل مثله ، بيد أن مسألة بيعة « عبد الله بن الزبير » لها قصة

قال « الهيثم » . ثم إن ابن « الزبير » مضى إلى « صمية » بنت
« أبي عبيد » .

وزوجة « عبد الله بن عمر » ، فذكر لها أن خروجه كان غضباً
لله تعالى ورسوله ، عليه الصلاة والسلام ، والمهاجرين والأمصار من
أثرة « معاوية » ، وابنه وأهله بالقيء ، وسأها مسأله :

أن يبايعه زوجها : عبد الله بن عمر

فلما قدمت عشاءه ، ذكرت له أمر « ابن الزبير » ، واجتهاده ،
وأثمت عليه وقالت :

ما يدعو إلا إلى طاعة الله ، عز وجل ، وأكثر القول في
ذلك ،

فقال لها : أما رأيت نعلات « معاوية » اللواتي كان يحج عليهن
الشهب ؟ فإن « ابن الزبير » ما يريد غيرهن . ١ هـ

بغللات « معاوية » الشهب ، انجلاة بالسروج المدهمة - وهي
رمر الدنيا ، والغنى ، والجاه ، والسلطان إنها هي مطمح المتطلعين
للإمامة ، وهي أصل المراع ، وأساس الداء ، إنها الدنيا ، كما قلنا ،
الأنواء .

أما « سعيد بن المسيب » مع أنه كان أشبه الناس بسيدنا عبد الله بن
عمر ، ومع أنه كما يقول « عبد الله الحزاعي » كان لا يخاصم
أحدًا ، ولو أراد إنسان رداءه رمى به إليه ، ومع أنه كان كما يقول
« ابن كثير » من أزهد الناس في فضول الدنيا ، والكلام

فيما لا يعنى ... مع ذلك ، ومع أنه لا شر فيه مطلقاً لأحد ، فقد
ضربه عامس « ابن الزبير » على المدينة ستين سوطاً

لقد استعمل « ابن الزبير » « جابر بن الأسود » على المدينة ،
ودعا « جابر » الناس إلى بيعه « ابن الزبير » ، وبيع من يبيع ،
وامتاع « سعيد » ، وكان سب امتناعه هو ما ذكره عن قوله في
الرد على « جابر » :

« لا ، حتى يجمع الناس » .

فأمر بضربه ستين سوطاً .

وكان « جابر » هذا قد تزوج الخامسة قبل أن تنتهى عدة
الرابعة ، فلم أخذت أنسياط « سعيد بن المسيب » : « صاحب
« بجابر » :

« والله ما ربت على كتاب الله ، يقول الله تعالى :

﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَتًى وَثَلَاثَ رِيَّاحٍ﴾^(١) !

وانت تزوجت الخامسة قبل انقضاء عدة الرابعة !

ثم صاح به أيضاً ، والسياط تأخذه ، قائلاً .

« وما هي إلا ليال ، فاصنع ما بدالك ، فسوف يأتيك ما تكره » !

يقول « عبد الواحد بن عون » :

فما لبث إلا يسيراً حتى قتل « ابن الزبير »

(١) النساء ٣

ويمكن هنا أن نتساءل : كيف تأتى « لسعيد » أن يؤكد .
وما هى إلا ليال . سوف بأنيك ما تكره » .
وتحقق كلام « سعيد » .. إنها لا شك كرامة ، وكم
« سعيد » من كرامات .
ولكن من الإنصاف أن نقول إن « ابن الزبير » لم يرض عما
فعله عامله « سعيد » ، وأنه حسما بلغه ذلك كتب إلى عامه يلومه ،
ويقول :
ما لنا و « لسعيد » ، دعه .. !

(٣) امتحانه ومحنه :

كان « ابن الزبير » ينارع « يزيد ابن معاوية » في الخلافة ،
ماذا كانت النتيجة ؟

لقد جاءت جيوش الشام ، وجيوش الأمويين إلى المدينة ، وكانت
موقعة الحرة الدامية ، المأساة التي ملأت القلوب فجيعة وأسى ، لقد
انتصر جيش الأمويين بقيادة « مسلم بن عقبة » ، فلما انتصر لم يكن
موقفه هو موقف الرسول الكريم حينما قال لأهل مكة :
« اذهبوا فأنتم الطلقاء » ..

لقد كان ، ﷺ ، أخا كريما حقا ، وابن أخ كريم ، وسما
بنفسه عن الحقد والضعفة ، وعما عن المشركين الذين أساءوا إليه
طيلة سنين عدة ، وعنبوه ، وعذبوا أصحابه ، وأخرجوه هو وأتباعه
مهاجرين إلى المدينة ، وما كانوا معه في يوم من الأيام كرماء أو
حلماء ، وتمثل فيه بهذا الموقف العظيم - وكل مواقفه عظيمة
قول الله تعالى :

﴿وَأِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (١) .

وتمثل فيه قوله سبحانه :

(١) الفهم : ٤

﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾^(١) .

أما « مسلم بن عقبة » فإنه حينما انتصر على « ابن الزبير » ، فإنه لم يدخل المدينة مطأطئ الرأس سائراً فداً إلى المسجد الشريف ليصلي ركعتين شكراً لله تعالى ، وإنما دخلها فرعوى المظهر ، دخلها في كبرياء ، وحيلاء ، وقسوة ، وأنها لحيشه ثلاثة أيام !! !

مدينة رسول الله ﷺ ، يهبها لحيشه ثلاثة أيام !! ! وفيها ضريح الشريف ، وفيها آثاره ﷺ ، وفيها بعض الصحابة ، وفيها نسعات من صدر الإسلام ، إنها السيرة العطرة للمهاجرين والأنصار ، الذين آزرُوا رسول الله ﷺ ، وعزروه ونصروه ، واتبعوا النور الذي أنزل معه ، واستشهد الكثير منهم في سبيله ، ومن بقي كان يتمنى الشهادة .

المدينة ... إنه أُنهيها ثلاثة أيام لحيشه

ثم ماذا ؟ إنه في قسوته البالغة بدأ يأخذ البيعة ليريد بأسنوب لا إنسانية فيه ، ولا رحمة ولا إسلام .

قال « مصعب الربيعي » كان « مسم بن عقبة » بعد ما أوقع بأهل المدينة يوم الحرة في إمرة « يزيد بن معاوية » ، وأنها ثلاثاً ، أتى يقوم من أهل المدينة .

فكان أول من قدم إليه « محمد بن أبي الحهم » فقال له .

(١) الأنبياء : ١٠٧

بايع أمير المؤمنين « يزيد » ، على أنك عبد قن ، إن شاء أعتقتك
وإن شاء استرقك .

فقال له محمد . بل أبايع على أبي ابن عم ، كريم ، حر
فقال : اضربوا عنقه ، فقتل .

ثم قدم إليه « يزيد بن عبد الله بن زمعة » فقال له مثل ذلك ،
فأجابته مثل جواب « محمد » ، فقدمه فقتله .

ثم قدم إليه « سعيد بن المسيب » فقال له : بايع أمير المؤمنين
على أنك عبد قن ، فإن شاء أعتقتك ، وإن شاء استرقك .
فقال « سعيد » : لا أبايع عبداً ولا حراً .

فقال « مسلم » : عجنون والله .

فحنقه الشرطان اللذان أتتا به حتى ثقل هي أيديهما ، فظن أنه
قد مات ، فأرسله ، فسقط ، ثم أفاق ، فقال : لا والله ، لا والله
فتقدم إليه « مروان بن الحكم » ، و « عمرو بن عثمان » ،
فشهد أنه مجنون ، فقال : لقد صنت ذلك ، أرسله .

فانصرف راجعاً إلى المدينة ، فلحقه « مروان » ، و « عمرو بن
عثمان » فقالا له . « الحمد لله الذي سلمك يا أبا محمد » .
فقال : ادعيا ، وبحكما ، أشهدان بالزور وأنا أسمع ، وتنفسان
على الشهادة ؟ والله لا أكلمكما أبداً .

هذا هو موقف « سعيد » من الفتنة الثانية أو الامتحان الثاني الذي
واجهه بالنسبة للحلافة ، ولكن ماذا كان يصنع « سعيد » في أيام الحرقة ؟
لقد لازم المسجد ، كان يلزم المسجد من قبل الفجر إلى ما بعد

العشاء ، روى عن « ابن حارم » قال . « سمعت » سعيد بن المسيب يقول - « لقد رأيتني لياى الحرة ، وما فى المسجد أحد من خلق الله غيرى ، وإن أهل الشام ليدخلون رمرا رمرا ، يقولون : انظروا إلى هذا الشيخ المجنون ، وما يأتى وقت صلاة إلا سمعت أذانا من القبر ، ثم تقدمت ، فأقمت ، فصليت ، وما فى المسجد غيرى »

وهذه كرامة أخرى للإمام « سعيد » ، بل يمكن أن نقول كرامات ، فقد حفظه الله فى هذا الجو الذى ليس فيه إلا سفك الدماء وقطع الرؤوس ، وما كان يأتى وقت الصلاة إلا ويسمع أذانا^(١)

(١) يقول صاحب تحقيق النصرة تلخيص معالم دار المعجزة حكى يحيى وابن النجار أن الأذان فى المسجد تترك فى أيام الحرة ثلاثة أيام ، وخرج الناس و« سعيد بن المسيب » فى المسجد ، وقال « سعيد » : استوحشت ميتوت إلى الغير أى قبر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فلما حضرت الظهر سمعت الأذان فى القبر ، فصليت ركعتين ، ثم سمعت الإقامة فصليت الظهر ، ثم مضى ذلك الأذان والإقامة إلى الغير لكل صلاة حتى مضى الثلاث لياى ، ورجع الناس وعاد المؤمنون ، فسمعت أذانهم فما سمعت الأذان فى قبر النبي ، صلى الله عليه وسلم ، مرجعت إلى مجلسى الذى كنت فيه :

فإن قيل كيف يحجون ويلبسون ، ويصومون ، وهم أموات فى الدار الآخرة ، وليست دار عمل ؟

فالجواب أنهم كالشهداء بل أفضل منهم ، والشهداء أحياء عند ربهم ، فلا يعد أن يحجروا ويصلوا

وهول . إن البرخ ينسحب عليه حكم الدنيا فى استكثارهم من الأعمال وريادة الأجور ، وإن المنقطع فى الآخرة إنما هو التكليف ، وقد تحصل الأعمال من غير تكليف على سبيل التمدد بها ، وهذا إنهم يسبحون ويقرءون القرآن ، ومن هذا سجود النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وقت الشفاعة ، وثبوت الجنة للشهيد بقوله تعالى . ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ (آل عمران ١٦٩) فالشهداء أحياء حقيقة عند جمهور العلماء . هـ

من الضريح الشريف ، فيقيم الصلاة ، وبصلى ، وما فى المسجد
غيره ... وهذه كرامة أخرى ،

لقد أساء بنو أمية إلى « سعيد » ، فماذا كان من « سعيد »
بالنسبة لهم ؟

روى عن « أبي بكر بن عبد الله » ، قال :

« كان سعيد بن المسيب » إذا سئل عن هؤلاء القوم ، قال :
أقول فيهم ما قولنى ربى :

« ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل
فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم »^(١) .

ومرة أخرى قيل « لسعيد بن المسيب » :

ادع على بنى أمية ، فقال :

« اللهم أعز دينك ، وأطهر أوليائك ، وأحر أعدائك ، فى عافية
لأمة محمد ، ﷺ » .

ولكن ، وكفى تولى أمر المدينة « عمر بن عبد العزيز » ، صاحب
السيرة العطرة لعدله وتقواه ، فكانت بينه وبين « سعيد » مودة
متبادلة وتقدير عظيم متبادل : وهكذا الأرواح حمود محمدة ،
ما تعارف بها اختلف ، وما تناكر بها اختلف .

وما كان « سعيد » يأنف أن يذهب إلى « عمر بن عبد العزيز » ،

(١) الخضر : ١٠

ولكن « عمر بن عبد العزيز » كان يجله ، بحيث لا يكلمه المجيء إليه .

كان « سعيد » يمثل العالم الورع العف ، المتواضع لأهل الصلاح والتقوى ، وكان « عمر بن عبد العزيز » يمثل الحاكم الذى يعرف للعلماء المحصلين مكانتهم الكريمة .

وانظر إلى احترام « عمر » لـ « سعيد » :

عن « مالك بن أنس » ، قال :

كان « عمر بن عبد العزيز » لا يقضى بقضاء حتى يسأل « سعيد ابن المسيب » كما ذكره « ابن سعد » ، فأرسل إليه إنساناً يسأله ، فعاد ، فجاءه حتى دخل عليه .

فقال « عمر » : أخطأ الرسول ، إنما أرسلناه يسألك فى محسبك .

وعن « مالك بن أنس » ، قال : كان « عمر بن عبد العزيز » يقول : ما كان بالمدينة ، عالم إلا يأتى بعلمه ، وأوتى بها عند « سعيد بن المسيب » .

كان « سعيد » لا يأتى أحد من الحلقاء ، ولكنه كان يأتى « عمر بن عبد العزيز » وهو بالمدينة .

ونقد كان تقدير « سعيد » لعمر عظيماً ، وانظر إلى القصة التالية :

روى عن « عبد العزيز بن أبي معن » ، قال : سمعت « سعيد
ابن المسيب » : « وسأله رجل فقال له :

يا أبا محمد . من المهدي ؟ فقال له « سعيد » : أدخلت دار
« مروان » ؟

قال : لا ، قال . فادخل دار « مروان » - دار الإمارة - تر
المهدي .

قال . فأخذ عمر بن عبد العزيز للناس ، فأنطلق الرجل حتى
دخل دار « مروان » ، فرأى الأمير وأناسا مجتمعين ، ثم رجع
إلى « سعيد بن المسيب » ، فقال : يا أبا محمد : دخلت دار
« مروان » ، فلم أر أحداً يقول هذا المهدي .

فقال له « سعيد بن المسيب » : هل رأيت الأشج : « عمر بن
عبد العزيز » القاعد على السرير ؟

قال : نعم .

قال : فهو المهدي^(١)

هذا هو موقف عمر بن عبد العزيز : موقف كريم من رجل
مؤمن ، وهذا هو امتحانه الثاني ومحتته الثانية ، اختارهما في صلابته
الوائقة في الله ، الذي لا يخشى إلا هو .

(١) والمعروف من سياق هذه القصة أن الرجل كان يسأل عن المهدي بمعنى الذي
ورد في بعض الآثار عن ظهور كائن يهدي الناس إلى الحق ، ويقودهم إلى طريق الله ، وكان
الإمام « سعيد » يقصد الرجل العادل ، الذي هداه الله ووقفه لصالح الأعمال

(٤) امتحانه ومحتنه :

أمر الامتحان الثالث : فإنه كان أيضًا بسبب الخلافة ، وكم حدث عن الخلافة من مآسى ومن أحداث .

قال « ابن قتيبة » :

أجمع « عبد الملك بن مروان » على بيعة « الوليد » ، ثم من بعد « الوليد » « سليمان » ، فكتب إلى « الحجاج » ببيعة « الوليد » ، وسليمان « ، فبايع الحجاجهما بالعراق ، فلم يحتلف عليه أحد ، وبويع لهما بالشام ومصر واليمن ، وكتب « عبد الملك » إلى « هشام بن إسماعيل » ، وهو عامله على المدينة ، أن يأخذ بيعة أهل المدينة

فلما أتت البيعة هما ، كره « سعيد بن المسيب » ذلك ، وقال .
لم أكن لأبايع بيعتين في الإسلام ، بعد حديث سمعته عن رسول الله ﷺ ، أنه قال :

« إذا كانتا بيعتين في الإسلام فاقتلوا الأحدث منهما » ١ هـ .

ماذا كان من أمر الوالى . هشام بن إسماعيل ؟

عن يحيى بن « سعيد » ، قال : كتب والى المدينة إلى عبد الملك ابن مروان أن أهل المدينة قد أطلقوا على البيعة « للوليد وسليمان » إلا « سعيد بن المسيب » .

فكتب ، أن اعرضه على السيف ، فإن مضى ، وإلا فجلده
خمسين جلدة ، وطف به أسواق المدينة .

فلما قدم الكتاب على الوالى دخل « سليمان بن يسار » و « عروة
بن الزبير » و « سالم بن عبد الله على » سعيد بن المسيب فقالوا :
إن قد جئناك فى أمر ، قد قدم بك كتاب من « عبد الملك
ابن مروان » ، إن لم تباع صرنا عتقك ، ونحن نعرض عليك
حصالا ثلاثة ، فأعطا إحداهن ، فإن الوالى قد قبل منك أن يقرأ
عليك الكتاب ، فلا تقل لا ، ولا نعم .

قال : فيقول اساس بايع « سعيد بن المسيب » ، ما أنا بفاعل .
قال وكان إذا قال : لا لم يطبقوا عليه أن يقول : نعم .
قال : مضت واحدة ، وبقيت اثنتان .

قالوا فتجلس فى بيتك ، فلا تخرج إلى الصلاة أياما ، فإنه
يقبل منك إذا طبت فى مجلسك فلم يحدك .

قال : وأنا أسمع الأذان فوق أذنى « حتى على الصلاة » ، « حتى
على الفلاح » ، ما أنا بفاعل .

قال : مضت اثنتان ، وبقيت واحدة ، قالوا :

فانتقل من مجلسك إلى غيره ، فإنه يرسل إلى مجلسك ، فإن
لم يحدك أمسك عنك .

قال فرقا لمخلوق !! ما أنا بمتقدم لذلك شهرا ولا متأخر شهرا .

فخرجوا ، وخرج إلى الصلاة صلاة الظهر - فجلس في مجلسه الذي كان يجلس فيه .

فما صلى الرائي بعث إليه فأتى به ، فقال .

إن أمير المؤمنين كتب يأمرنا إن م تابع صربنا عنقت

قال : نهى رسول الله ، ﷺ ، عن بيعته .

فلما رآه لا يجيب أخرج إلى السدة ، فمدت عنقه ، وسلت عليه

السيوف ، فلما رآه قد مضى ، أمر به فحرد ، فإدا عليه تان شعر^(١) ،

فقال :

لو علمت أنى لا أقتل ما اشتهرت بهذا الثان ، فضره حمس

سوط ، ثم طاف به أسواق المدينة ، ثم أوقفه في الشمس .

وهنا موقف رائع حقاً ، فإنه حينما أوقفه في الشمس لم يشعر

« سعيد » بضيق أو اضطراب أو قلق ، وإنما كان متماسكاً منراً

هادئاً ، وهناك حادثة طريفة ترى منها كيف كانت حالته النفسية

وهو واقف في الشمس .

حدث « أبو عوانة » عن « قتادة » قال : أتيت « سعيد بن

المسيب » ، وقد ألبس تان شعر وأقيم في الشمس ، فقلت لقائدي :

ادنى منه ، فأداني منه ، ف جعلت أسأله ، خوفاً من أن يفوتنى

وهو يحيننى حسبة والناس يتعجبون ،

(١) تان : سروال قصير يستر العورة

إنه موقف يذكرنا بموقف «سقراط» وهو في السجن ، وقد حكم عليه بالقتل ، ومع ذلك فإن تلاميذه - ومنهم «أفلاطون» - كانوا يحضرون إليه في سجنه فيدرس لهم ، كما كان يفعل وهو طليق : هادئاً مطمئناً .

ماذا كان بعد ذلك من أمر الإمام سعيد .

لقد رده والى المدينة إلى السجن ، وأرست له ابتته بطعام طيب شهى كثير ، وذلك بعامل الشفقة ، وبعامل الحب ، فقال «سعيد» لمن حمل إليه الطعام :

اذهب إلى ابنتي فقل لها : لا تعود إلى هذا أبداً .

فهذه حاجة «هشام بن إسماعيل» ، يريد أن يذهب مالى ، فأحتاج إلى ما فى أيديهم ، وأنا لا أدرى ما أحبس ، فانظروا إلى القوت الذى كنت آكل فى بيتى ، فابعثى إلى به ، فكانت تبعث إليه بذلك ، لا تزيد عليه .

ومرة أخرى دخل عليه السجن «أبو بكر بن عبد الرحمن» ، فجعل يكلم «سعيداً» ويقول :

إنك لم ترفق به فى حديثك ؛ فقال يا أبا بكر ، اتق الله وآثره على ما سواه ؛ قال :

فجعل «أبو بكر» يردد عليه : إنك خرقت ، ولم ترفق فى الحديث ، فجعل «سعيد» يقول :

إنك والله أعمى البصر ، أعمى القلب ، قال : فخرج «أبو بكر» من عنده ، وأرسل إليه «هشام بن إسماعيل» ، فقال .

هل لأن « سعيد » مذ صرنا ؟ فقال « أبو بكر » : والله ما كان أتد لساناً منه منذ فعلت به ما فعلت ، فاكفف عن الرجل .
وتحير « هشام بن إسماعيل » حيرة كبيرة إنه يصدد رجس تقي صاح ، يستمسك برأيه ولا يحيد عنه ، يتشبث بالحق ولا يلين ، وهو من جهة أخرى قد جاءه الأمر من الحليفة بأخذ البيعة ، ولا بد له من ذلك ؛ ماذا يفعل ؟ لم يجد ماصاً من أن يكتب للخليفة من حديد ، فصاد حدث ؟

عن « المسور بن رفاعه » ، قال :

دخل « قبيصة بن ذؤيب » على « عبد الملك بن مروان » بكتاب « هشام بن إسماعيل » ، يذكر أنه ضرب « سعيداً » وطاف به .
قال « قبيصة » : يا أمير المؤمنين ، يقتات عليك « هشام » بمثل هذا ؟ يضرب « ابن لمسيب » ويطوف به ؟ والله لا يكون « سعيد » أبداً أمحل ولا ألج منه حين يضرب ، « سعيد » ، لو لم يبايع ما كان يكون منه ؟ ما « سعيد » ممن يخاف فتنه ، ولا غوائله على الإسلام وأهله ، وإنه لمن أهل الجماعة والسنة .

وقال « قبيصة » : اكتب إليه يا أمير المؤمنين في ذلك .

فقال « عبد الملك » اكتب أنت إليه عك فخبره برأى فيه ، وما خالفني من ضرب « هشام » إياه .
فكتب « قبيصة » إلى « سعيد » بذلك .

فقال « سعيد » حين قرأ الكتاب . الله يسي ويبس من ظلمي .
وندم « هشام بن إسماعيل » على ما صنع « بسعيد » فخلى سبيله .

لقد خلى سبيله ولكن نهى عن مجالسته ، وكان « سعيد » يعرض
ذلك لكل من جلس إليه ، حتى لا يساء إلى من جالسه
عن « عبد الله بن القاسم » ، قال : جلست إلى « سعيد بن المسيب »
فقال : إنه قد نهى عن مجالستي ، قال : قلت إني رجل عريب
قال : إنما أحببت أن أعلمك .

وحدث « العلاء بن عبد الكريم » ، قال . جلست إلى « سعيد بن
المسيب » فقال :
أنه قد نهى عن مجالستي .

وحدث « همام » عن قتادة عن « سعيد بن المسيب » . أنه كان
إذا أراد الرجل أن يجالسه قال :

إنهم قد جندوني ، ومنعوا الناس أن يجالسوني
أما في نهاية هذه المأساة ، فإنه لا يسعنا إلا أن نسجل للإمام
« سعيد » هذا الموقف الذي ينسم بالنبل والشهامة
لقد نكل « هشام بن إسماعيل » بالإمام تنكيلاً كثيراً ، وكان
يسعه باعتباره والياً أن يتصرف تصرفاً غير ذلك . لقد صر به ، وطاف
به في السوق ، ومسحه .

ودارت الأيام دورتها ، والأيام دول .

لقد غضب « الوليد بن عبد الملك » على « هشام بن إسماعيل » ،
وولى إمرة المدينة « عمر بن عبد العزيز » وكتب إليه أمراً صريحاً
أن يوقف « هشام بن إسماعيل » للناس ، فمن كانت عليه مظنة
أحدها بها .

ماذا كان موقف الإمام ؟ وما تسطر منه ؟

لقد قال لآبته ومواليه :

لا يعرض أحد منكم لهذا الرجل فيّ ؛

تركت ذلك لله ، وللرحم .

أما قوله « للرحم » ، فإن « هشام » كان ابن عم « سعيد » ،
وإذا كان « هشام » لم يزع للرحم حرمة فإن ذلك ما كان ينأى
أن يغرب عن شعور سعيد

وانتهت هذه الفتن ، وهذا « سعيد » .

لم يفتن « سعيداً » في أيام « الحجاج » ، وقد عجب الناس
لذلك وسألوا « سعيداً » نفسه :

ما شأن « الحجاج » لا يبعث إليك ، ولا يهيجك ولا يؤذيك ؟
قال : والله ما أدرى ، غير أنه صلى ذات يوم مع أبيه صلاة ، فجعل
لا يتم ركوعها ولا سجودها ، فأخذت كما من حصياء فحصبته بها .
قال « الحجاج » : فمازلت أحس الصلاة .

وبعد . ففي نهاية الحديث عن محبة سعيد وامتحانه ، لا يسعنا
إلا أن نذكر بشعار من شعارات الدعاة ، أعلنه القرآن الكريم مبداً
لكل داع :

يقول تعالى : ﴿والذين يبلغون رسالات الله ويحشونه ولا يحشون
أحدًا إلا الله ، وكفى بالله حسيباً﴾^(١) .

(١) الأحزاب : ٣٩

الفصل الرابع السعيد بن المسيب

(١) المحدث :

كان علماء السنة يعرفون بسيماهم ، فقد كانوا من الزهد في
حطام الدنيا بحيث لا يازعون الناس في ديارهم :

لقد كانوا مشغولين عن جمع المال بخدمة الدين ، وكانوا مشغولين
عن الجاه بغرس الخلق الصالح الكريم ، وكانوا مشغولين عن السلطان
بمس يده السلطان يؤتيه من يشاء وينزع من يشاء : مالك الملك
ذي الجلال والإكرام .

وكانوا صادقين : لقد كان الصدق ديبهم وفطرتهم .

وكانوا صابرين على الحياة ، وصابرين على العمل .

لقد أقاموا نهارهم ، وأسهروا ليلهم ، عملاً على مرضاة الله ورسوله
ﷺ .

وإن كل من أشريت نفوسهم حب السنة أمثلة كريمة للمحقق
الكريم .

والأمثلة الكريمة للمحقق الكريم هدف دائماً لسهام المذبح
الأنيسة التي استهواها الشيطان في قليل أو في كثير إنه النزاع
الدائم بين الفضيلة وأصحابها ، وبين المعتلين لزغاب أهوى والصلال .

ولولا وجود هذه المثل العليا لمكارم الأخلاق فى كل عصر لفقدت الإنسانية الثقة بنفسها ، ولما اطمأن إنسان لإنسان ، ولما وثق شخص بآخر .

لقد رثت السنة رجالاً ، وخصائصها التى رثت بها الرجال موجودة فيها ، لأنها من طبيعتها ومن ذاتها

ولقد شهدت الإنسانية واعترفت بسمو هؤلاء الرجال ، وأولتهم ثقتها وتقديرها .

وكان « سعيد بن المسيب » من هؤلاء الذين رثتهم السنة فأشربوا حب الاقتداء برسول الله ﷺ .

ولقد استكمل العناصر التى يجب أن تكون فى المحدث ، وهى

(أ) قوة الذاكرة :

عن « عمران بن عبد الله » قال سألتنى « سعيد بن المسيب » فانتسبت له ، فقال . لقد جلس أبوك إلى فى خلافة « معاوية » ، فسألتنى عن كذا وكذا ، فقلت له . كذا وكذا .. ولذلك كان « عمران » يقول : « والله ما أراه مر على أدنى شيء قط إلا وعاه فيه » ..

(ب) الاهتمام البالغ بالحديث :

عن « مالك بن أنس » أنه بلغه أن « سعيد بن المسيب » قال « إن كنت لأسير ليلالى والأيام فى طلب الحديث الواحد » .

(ج) احترام الحديث :

عن « محمد بن سعيد بن المسيب » قال :

دخل « المطلب بن حنطب على سعيد بن المسيب » في مرضه وهو مصطحح ، فسأله عن حديث فقال أقعدوني فأعدوه .. فقال الرجل : وددت أنك لم تمنّ .. فقال : « إني أكره أن أحدث حديث رسول الله ، ﷺ ، وأنا مصطحح » .

(د) أن يكون ثقة صدوقاً :

قال « أبو طالب » قلت « لأحمد » : « سعيد بن المسيب » ؟ فقال ومن مثل « سعيد » ؟ ثقة من أهل الحير . وقال « أبو زرعة » : كان مديناً ، ثقة ، إماماً . وقال « أبو حاتم » : ليس في التابعين أنبل منه ، وهو أثبتهم في « أبي هريرة » .

وروى « الربيع » عن « الشافعي » أنه قال :

« إرسال » سعيد بن المسيب « عندنا حسن » .

« ولحديث المرسل هو الحديث الذي يرويه التابعي عن رسول الله ، ﷺ ، دون أن يذكر لصحابي الذي أخذ عنه ، أو سمع منه » .

وقال « الإمام أحمد بن حنبل » : « هي صحاح » ، وسعيد بن المسيب « أفضل التابعين » .

وقال « علي بن المديني » : لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه ،

وإذا قال سعيد : مضت السنة ، فحسبك به ، وهو عندي من أجل
النايعين

وقال « ابن حجر » : اتفقوا على أن مرسلاته أصح المراسيل .
وروى عن « علي بن الحسين » قال :

« سعيد بن المسيب » أعلم الناس فيما تقدم من الآثار ، وأفقههم
في رأيه .

(هـ) أن يكون شيوخه الذين يروى عنهم ثقات :

وقد كان شيوخ « سعيد » الصحابة ، بل وكبار الصحابة لقد
أدرك طائفة من أحوال الصحابة ، وطائفة من العشرة المبشرين بالجنة ،
وطائفة من روجاب الرسول ، عليه السلام ، وقد كان يأخذ في استفاضة
عن « أبي هريرة » ، رضى الله عنه ، وعن « ابن عمر » رضى
الله عنهما .

وبذكر هنا ما رواه كتاب حلية الأولياء عنه ، يقول صاحب
الحلية :

ومن مسانيد حديثه :

حدثنا « أبو بكر بن حلال » ، قال . حدثنا الحارث بن أبي أسامة
قال حدثنا عبد الوهاب بن عطاء قال . حدثنا داود بن أبي هند
عن « سعيد بن المسيب » قال :

قال « عمر بن الخطاب » ، رضى الله تعالى عنه ، على هذا
المسار يعنى منبر المدينة إني أعلم أن أقواماً سيكذبون بالرجم ،

ويقولون ليس في القرآن ، ولولا أني أكره أن أريد في القرآن لكتبت
في آخر ورقة أن رسول الله ﷺ ، قد رجم ، ورجم « أبو بكر » ،
وأنا رجمت ، رواه « يحيى بن سعيد » عن « سعيد » مثله .

حدثنا محمد بن أحمد قال : حدثنا عبد الرحمن قال : حدثنا
« يزيد بن هارون » ، أخبرنا يحيى بن سعيد أنه سمع « سعيد بن
المسيب » يذكر أن عمر قال :

إياكم أن تهتكوا عن آية الرجم . فذكرتموه .

حدثنا سليمان بن أحمد قال : حدثنا الحسن بن منصور الرماني
قال :

حدثنا المعافى بن سيمان قال : حدثنا حكيم بن مافع عن
« يحيى بن سعيد » عن « سعيد بن المسيب » عن « عمر بن
الخطاب » رضى الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ :
« أول ما يرفع من الأمة الأمانة ، وآخر ما يبقى الصلاة ، ورب
مُصلٍّ لا يحير فيه » .

حدثنا أبو بكر بن مالك ، قال : حدثنا عبد الله ابن حنبل
قال : حدثنا يعقوب ابن حميد بن كاسب قال : حدثنا عبد الله بن
عبد الله الأموي قال :

حدثنا الحسن بن الحر قال سمعت « يعقوب بن عتبة بن الأحنس »
يقول سمعت « سعيد بن المسيب » يقول سمعت « عمر بن
الخطاب » يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول :
« من اعتر بالعبث أذله الله » .

حدثنا محمد بن عمر ، قال حدثنا محمود بن عمروزي قال :
حدثنا أحمد بن يعقوب قال : حدثنا الوليد بن سلمة عن « يونس
ابن يزيد » عن « ابن شهاب الزهري » عن « أحمد » عن « سعيد بن
المسيب » عن « عثمان بن عفان » . أن النبي ﷺ قال :
« إذا سمعتم النداء فقوموا ، فإنها عزمة من الله » .

حدثنا أبو بكر لطلحي ، قال حدثنا أبو حصين محمد بن الحسن
الوادعي ، قال : حدثنا يحيى الحماني ، قال : حدثنا هيس يعني
« ابن الربيع » عن « عبد الله بن عمران » عن « علي بن زيد »
عن « سعيد بن المسيب » عن « علي بن أبي طالب » رضي الله
تعالى عنه أنه قال لفاطمة ، رضى الله تعالى عنها :

« ما حير النساء ؟ قالت : « أن لا يرى الرجال ولا يروهن »
فذكره للبي ، ﷺ ، فقال :

« إنما فاطمة بضعة مني » !

حدثنا محمد بن عمر بن سالم قال : حدثنا سعيد بن علي بن
الخليل « قال : حدثنا إسحق بن العبر ، قال : حدثنا نصر بن
ثابت » عن « يحيى بن سعيد » عن « سعيد بن المسيب » عن
« علي بن أبي طالب » ، رضى الله تعالى عنه ، قال قال لبي ،
ﷺ :

« من اتقى الله عاش قويا ، وسار في بلاده آمنا »

حدثنا محمد بن أحمد قال : حدثنا أحمد بن عبد الرحمن قال :
حدثنا يزيد بن هارون أنخرما سفيان بن حسين عن « الزهري » عن

« سعيد بن المسيب » عن « أبي هريرة » قال قال رسول الله ،
ﷺ ، « من أدخل فرساً بين فرسين وهو لا يأمن أن يسوق فهو
قمار » .

حدثنا حبيب بن الحسن ، قال . حدثنا محمد بن بكر بن حبان ،
قال : حدثنا عمر بن الحصين ، قال : حدثنا إبراهيم بن عطاء ،
عن « يزيد بن عياض » عن « الزهري » عن « سعيد بن المسيب »
عن « عمار بن ياسر » قال : قال النبي ، ﷺ :
« حسن الخلق خفق الله الأعظم » .

حدثنا سليمان بن أحمد ، قال : حدثنا أحمد بن دود « المكي »
قال : حدثنا حبيب كاتب « مالك » ، قال : حدثنا ابن أبي
الزهري ، عن « الزهري » ، عن « سعيد بن المسيب » ، عن
« أبي بن كعب » ، قال :
قال رسول الله ، ﷺ :

« قال لي جبريل ، ليك الإسلام على موت عمر ، رضي الله
تعالى عنه » .

حدثنا أبو عمر محمد بن الحسن قال حدثنا أحمد بن إسحاق
الخشاب الرقي ، قال : حدثنا رريق أبو القاسم الحمصي ، قال :
حدثنا الحكم بن عبد الله الأيلي ، قال حدثنا الزهري عن
« سعيد بن المسيب » ، عن « عائشة » ، رضي الله تعالى عنها ،
أن رسول الله ، ﷺ قال :

« إن لكل شيء شرفاً يشاهون به ، وإن بهاء أمتي وشرفها القرآن »

(٢) الفقيه :

وأظهر بواحي « سعيد بن المسيب » العلمية هي . العلم .
وكان من عاداته الجميلة : أنه ما كان يقضى فتياً أو يقرب شيئاً
إلا قال : « اللهم سلمنى ، وسلم عني » .

وعنه ساه على أساس من الحديث ، إنه لم يكن من أهل الرأي ،
ولما كان من أهل الأثر ، والواقع أن الفرق بين أهل الرأي وأهل
الأثر ليس فرقاً كبيراً ، فكل منهم يعتمد أولاً وقبل كل شيء على
الأثر ، وكل منهم يقول : « إذ صح الحديث فهو مذهبي » .

ولا يختلف موقفهم في أن الأساس ، إنما هو القرآن والسنة ،
وكل ما يسها من فرق أن أهل الرأي يستعملون القياس أكثر من
أهل الأثر ، ولكنهم جميعاً - تحاه الحديث الصحيح لا موقف
لهم إلا التسليم .

كان « سعيد بن المسيب » من أهل الأثر ، وأهل الأثر يعنون
عناية بالغة بالحديث ، ومن هنا كان « سعيد بن المسيب » محدثاً ،
وفقيهاً .

وكان فقهه معيلاً عناية خاصة بآثار رسول الله ، ﷺ ، في القصاء
وآثار كبار صحابته .

روى عن « مسعر بن كدام » عن « سعيد بن إبراهيم » ، عن
« سعيد بن المسيب » ، قال :

« ما بقي أحد أعلم بكل قصء قصءه رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ،
وعمر ، مى » ، قال « مسعر » وأحسب قد قال « وعثمان ،
ومعاوية » .

ويروى « ابن سعد » فى طبقاته .

عن « ليث بن سعد » ، « ومالك بن أنس » ، عن « يحيى بن
سعيد » قال . كان يُقال « ابن المسيب » راوية « عمر » قال
« ليث » : لأنه كان أحفظ الناس لأحكامه وأقصيته

ويجمع « مكحول » « وقتادة » « والزهرى » وغيرهم قائلين :
ما رأينا أعلم من « ابن المسيب » ، وإذا كان هذا إجماعهم فإننا
نذكر شيئا من تفصيلهم فى ذلك :

ويتحدث « مكحول » عن « سعيد بن المسيب » أكثر من مرة ،
إنه يقول مثلا :

« سعيد بن المسيب » : عالم العلماء .

وعن « إسماعيل بن أُمية » ، قال . قال « مكحول » . ما حدثكم
به فهو عن « ابن المسيب » « والشعبى » .

وعن « سعيد بن عبد العزيز التوحى » ، قال . سألت
« مكحولا » من أعلم من لقيت ؟ قال « ابن المسيب » .

ويتحدث صاحب الشذرات عن « سعيد بن المسيب » ويروى
عن « قتادة » كلمة تنصل « بسعيد » و « الحسن البصرى » ، ومنزلة
« الحسن البصرى » ومكانته السامية بين التابعين معروفة ، يقول
« قتادة » :

« ما جمعت علم « الحسن » إلى علم أحد إلا وجدت له عيبه فضلاً ، غير أنه كان إذا أشكل عليه شيء كتب إلى « ابن المسيب » يسأله . »

أما عن الحلال والحرام فيقول « قتادة » .

« رأيت أحداً قط أعلم بحلال الله وحرامه من « سعيد بن المسيب » . »

وقال « الزهري » : كان يقال : « ليس أحد أعلم بكل ما قصي به « عمر » و « عثمان » عند » .

وقال « الزهري » : « جالسته سبع حجج ، وأنا لا أظن أن أحداً عنده علم غيره » ، وروى عن « الأوراعي » قال سئل « مكحول » و « الزهري » : من أفقه من أدركتما ؟ فقالا : « سعيد بن المسيب » .

وقال « علي بن المديني » لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه ، وهو عدي أجل التابعين .

ويقول صاحب البداية والنهاية بإساده :

قال ابن « عمر » . كان « سعيد » أحد المتقين .

وقال « محمد بن إسحاق » عن « مكحول » قال طفت الأرض كلها في طلب العلم ، فما لقيت أعلم من « سعيد بن المسيب » .
وبنح من فقه « سعيد » أن « قدامة بن موسى الجمحي » قال .
كان « سعيد بن المسيب » يفتي وأصحاب رسول الله ﷺ ، أحياء ،

هذا وقد سبق أن تحدثت عن رأى « ابن عمر » فى « سعيد »
وتحدثنا عن رأى الإمام « أحمد بن حنبل » فيه
ومحب الآن أن نذكر رأى الإمام « مالك » .

(هو ومالك) :

روى عن « مالك » . أن « انقاسم بن محمد » سأله رجل عن
شئ فقال . أسألت أحداً غيرى ؟ قال : « نعم » ، « عروة » وهلالاً
و « سعيد بن المسيب » فقال « أطع » ابن المسيب ، فإنه
سيدنا وعالمنا .

قال . مالك ما اسوحش « سعيد بن المسيب » إلى أحد قط
خالفه .

وصلة لإمام « مالك » . سعيد بن المسيب « صفة وثيقة » وذلك
أن الإمام مالكاً كثيراً ما يذكر فى كتابه المقيس « الموطأ » آراء
« سعيد بن المسيب » فى المسائل التى يعرض لها ، وكتاب الموطأ
من أنفس الكتب الفقهية ، وهو يسير فى الفقه على سُنن موفى
وذلك أنه يعتمد على الأحديث الشريفة وآثار الصحابة والتابعين ،
رضوان الله عليهم .

وتحل آراء « سعيد » مكاناً لا بأس به من الموطأ

ومن أجل بيان بعض آراء سعيد فى الفقه أحدثت فى دراسة
كتاب الموطأ لأستخرج منه آراء الإمام « سعيد » وأذكر رأى الإمام

« مالك » فقط في الحالات التي يعنى فيها على كلام « سعيد » مؤيداً أو مخالفاً أو شارحاً أو محدداً .

وقبل الأخذ في ذلك نقول . يروى « ابن سعد » عن « عاصم » قال . سمعت سعيد بن المسيب يحضر بسم الله الرحمن الرحيم ، ويروى عن علي « بن زيد » قال كان « سعيد بن المسيب » يصلى لتطوع في رحله . (ص ٩٩) .

ويروى صاحب الحلية عن « ابن حرمة » قال ما سمعت « سعيد بن المسيب » سبَّ أحد من الأئمة قط ، إلا أنى سمعته يقول : قاتل الله فلاناً ، كان أول من عمر قصاء رسول الله ، ﷺ ، وقد قال النبي ، ﷺ .

« الولد للفراش وللعاهر الحجر » .

وأهل الأثر لا يعنون فقط بالسنة ، وإنما يعنون أيضاً وهي الدرجة الأولى بالقرآن ، وبخاصة آيات الأحكام فيه

وقد كان « سعيد » معنياً بالقرآن غاية كبيرة .

يقول « ابن سعد » في طبقاته . بسده : إن « سعيد بن المسيب » كان يقرأ القرآن بالليل على راحته فيكثر . وهذا في السر ، والأمر كان كذلك في الإقامة .

ومن طرائف « سعيد » . ما روى عن « يحيى بن سعيد » قال .

كان « سعيد بن المسيب » إذا مر بالكتب ، قال للصبيان « هؤلاء الناس بعدنا » .

وله في التفسير نظرات مشرقة :

يروى صاحب الحلية عن « يحيى بن سعيد » عن أبيه ، أن
« سعيد بن المسيب » قال في تفسير قوله تعالى :

﴿إِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غُفُورًا﴾^(١) .

« الذي يدنس ثم يتوب ، ثم يدنس ، ثم يتوب ، ولا يعود
في شيء قصداً » .

بيد أن ما روى « عن سعيد » في التفسير كان قليلاً ، ولعل
من أسباب ذلك ، ما روى عن « يحيى بن سعيد » قال : « أدركت
الناس يهابون الكتب ، ولو كنا نكتب يومئذ لكتبنا من علم « سعيد »
ورأيه شيئاً كثيراً .

ومع ذلك فقد روت كتب التفسير عن « سعيد » آراء كثيرة
في تفسير القرآن : ومن ذلك أ

يقول « سعيد » في قوله تعالى عن « يحيى » عليه السلام .

﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ، وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٢) .

قال . « السيد » : « الفقيه نعلم » ، الحضور : « الذي
لا يخشى النساء » .

ويذكر صاحب رسالة فقه « سعيد بن المسيب » ما يلي :

(١) الإسراء : ٢٥ .

(٢) سورة آل عمران : الآية (٣٩)

قوله تعالى : ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^(١) .

قال « البعوى » و « الحازن » قال « سعيد بن المسيب »
« القلب السليم هو الصحيح ، وهو قلب المؤمن ، لأن قلب الكافر
والموافق مريض » .

قال تعالى : ﴿وَمِن قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾^(٢)

وهذا كما ترى من تفسير القرآن بانقرآن^(٣) .

قوله تعالى ﴿وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾^(٤)

المراد بالطريقة الإسلام ، كذا قال « سعيد بن المسيب »^(٥)

قوله تعالى ﴿وَيَمْعُونَ الْمَاعُونَ﴾^(٦)

روى « الطبري » بسنده عن « سعيد بن المسيب » قال : « الماعون

لسان قريش ، المال » وهذا تفسير لعوى تحت كما ترى^(٧)

يد أن « سعيد بن المسيب » كان ففيها أولاً وقبل كل شيء ،

لقد كان أحد الفقهاء السبعة الذين اختلطوا بالصحابة في المدينة

(١) سورة الشعراء الآيات (٨٨ - ٨٩)

(٢) سورة البقرة آية (١٠)

(٣) تفسير « البعوى » و « الحازن » : ١٠٠/٥

(٤) سورة الجن آية (١٦) .

(٥) تفسير « بن كثير » : ٤٣١/٤

(٦) سورة الماعون آية (٢) .

(٧) تفسير « الطبري » : ٢٠٦/٣٠ . القريش : ٢٠٠/٢١٤

لمنورة وتسمدوا عليهم ، وأحدوا عنهم ، وكان « سعيد » رأس هؤلاء السبعة

يقول « ابن سعد » في طبقاته :

أخبرنا محمد بن عمر حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال : كان السبعة الذين يسألون بالمدينة ، ويتتبعون إلى قلوبهم : « سعيد بن المسيب » و « أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام » و « عروة بن الزبير » و « عبيد الله بن عبد الله بن عتبة » و « القاسم بن محمد » و « حارثة بن زيد » و « سليمان بن يسار » .

وقد أحببت أن أساهم في التعريف بفقهه ، وكنت من آل لآخر أقرأ في موطأ الإمام « مالك » وفي هذه الطبعة الجملة التي حققها ، وعلق عليها المرحوم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، وكتاب لموطأ من الكتب المثالية في الفقه وهو يتبع دائماً الحديث ، ويسير وراء الآثار ، ويروى من آل لآخر رأى « سعيد بن المسيب » أو خبراً رواه « سعيد » يعبر عن رأيه .

وكان الإمام « مالك » ، رضي الله عنه ، يحالف رأى « سعيد » أحياناً ، ويوافقه أحياناً ، ويحده أو يشرحه ، أو يبين ظروفه أحياناً أخرى .

وبدأت من جديد أتمس آراء « سعيد » في الموطأ ، وإني لأشكر الذين ساعدوني في ذلك ، وسيرى القراء فيما يلي ، الآراء وأرقام صفحاتها في هذه الطبعة الحميلة من « الموطأ » : طبعة الأستاذ فؤاد عبد الباقي .

عن « ابن شهاب » عن « سعيد بن المسيب » : أن رسول الله ، ﷺ قال : « من أكل من هذه الشجرة فلا يقرب مساجدا ، يؤدبنا بریح الثوم » . [ط ج ١ ص ١٧] .

عن يزيد بن عبد الله بن قسيط الليثي « أنه رأى سعيد بن المسيب رعى وهو يصلي ، فأتى حجره « أم سمحة » زوج النبي ، ﷺ ، فأوتى بوضوء خصوصاً ، ثم رجع فبى على ما قد صلى » . [ط ج ١ ص ٣٨] .

عن « عبد الرحمن بن حرملة الأسلمي » ، أنه قال : رأيت « سعيد بن المسيب » يرفع ، فيخرج منه الدم ، حتى تخبص أصابعه من الدم الذي يخرج من أنفه ؛ ثم يصلي ، ولا يتوضأ » . [ط ج ١ ص ٣٩] .

عن « يحيى بن سعيد » ، أن « سعيد بن المسيب » قال : ما ترون فيمن غلبه الدم من رعاقد فلم ينقطع عنه ؟ قال مالك : قال « يحيى بن سعيد » .

ثم قال « سعيد بن المسيب » : « أرى أن يومئ برأسه إيماء » قال « يحيى » : قال « مالك » : وذلك أحب ما سمعت ، إلى في ذلك » . [ط ج ١ ص ٤٠] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ؛ أن « عمر بن الخطاب » و « عثمان بن عفان » و « عائشة » زوج النبي ، ﷺ ، كانوا يقولون : « إذا مس الحتان الحتان فقد وجب العسل » . [ط ج ١ ص ٤٥]

عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أن
« أبا موسى الأشعري » أتى « عائشة » روج النبي ، عليها السلام ، فقال
ها : لقد شق على اختلاف أصحاب النبي ، عليه السلام ، في أمر ، إني
لأعظم أن استقبلك به

فقلت : ما هو ؟ ما كنت سائلاً عنه أمك ، فسلمني عنه .
فقال : « الرجل يصيب أهله ثم يكسل ولا يُنزِل » ؟ فقلت : « إذا
جاور المختار المختار فقد وجب العسل » فقال « أبو موسى
الأشعري » : « لا أسأل عن هذا أحدًا بعدك أبدًا »

[ط ج ١ ص ٤٦] .

عن « عبد الرحمن بن حرملة » ، أن رجلاً سأل « سعيد بن
المسيب » عن الرجل الحب ، يتمم ثم يدرك الماء ، فقال « سعيد » :
إذا أدرك الماء ، فعليه الغسل لما يستقل » [ط ج ١ ص ٥٦]

عن « مالك » عن « سُعَيْ » ، مولى « أبي بكر بن عبد الرحمن » ،
« أن القعقاع بن حكيم » ، و « زيد بن أسلم » أرسلاه إلى « سعيد بن
المسيب » ، يسأله كيف تغسل المستحاضة ؟ فقال : « تغسل
من طهر إلى طهر ، وتوضأ بكل صلاة ، فإن عليها ادم
استشعرت » .

عن « يحيى بن سعيد » عن « سعيد بن المسيب » ، أنه كان
يقول : « من صلى بأرض فلاة ، صلى عن يمينه ملك ، وعن شماله
ملك ، فإذا أدن وأقام الصلاة أو أقام صلى وراءه من الملائكة أمثال
الجبال » . [ط ج ١ ص ٧٤] .

عن « ابن شهاب » عن « سعيد بن المسيب » و « أنس بن مالك »
ابن عبد الرحمن ، أنهما أحراهما عن « أنس بن مالك » ، أن رسول
الله ، ﷺ ، قال : « إذا أمر الإمام فأمنوا ، فإنه من وافق تأمينه
تأمين الملائكة عفر له ما تقدم من ذنبه »

قال « ابن شهاب » : وكان رسول الله ، ﷺ ، يقول « آمين » .
[ط ج ١ ص ٨٧] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، وعن
« أنس بن مالك » عن عبد الرحمن بن عوف ، قال : « قال رسول الله ، ﷺ ،
« آمين » ، فاستجاب له من الملائكة عفر له ما تقدم من ذنبه » .

قال « مالك » كل سهو كان نقصاناً من الصلاة ، فإن سجوده
قبل السلام ، وكل سهو كان زيادة في الصلاة فإن سجوده بعد
السلام . [ط ج ١ ص ٩٥] .

عن « مالك » ، أنه سمعه أن رجلاً عطس يوم الجمعة وإمام
يخطب ، فشتمه إنسان إلى جبهه ، فسأل عن ذلك « سعيد بن
المسيب » ، فنهاه عن ذلك ، وقال . « لا تعد » .
[ط ج ١ ص ١٠٤] .

عن « مالك » ؛ أنه سمعه أن « سعيد بن المسيب » كان يقول .
« يكره النوم قبل العشاء . والحديث بعدها » .
[ط ج ١ ص ١١٩] .

عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه قال .
« كان « أبو بكر الصديق » ، إذا أراد أن يأتي فراشه أوتر ، وكان
« عمر بن الخطاب » يوتر آخر الليل ، قال « سعيد بن المسيب » .
فأما أنا ، فإذا جئت فراشي أوترت . [ط ج ١ ص ١٢٤]

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » عن « أبي هريرة » ، أن رسول الله ، ﷺ قال : « صلاة الجماعة أفضل من صلاة أحدكم وحده بخمسة وعشرين جزءاً » .

[ط ج ١ ص ١٢٩] .

عن « عبد الرحمن بن حرملة الأسلمي » ، عن « سعيد بن المسيب » أن رسول الله ، ﷺ قال : « يساوي المنافقين شهود العشاء والصبح لا يستطيعونهما » أو « نحو هذا » [ط ج ٢ ص ١٣٠]

عن « يحيى بن سعيد » ، أن رجلاً سأل « سعيد بن المسيب » فقال : « إني أصي في بيني ، ثم أتى المسجد ، فأجد الإمام يصلي ، فأصلي معه ، فقال « سعيد » : نعم ، فقال الرجل : فأيهما صلاتي ؟ فقال سعيد . أو أنت تجعلهما ؟ إنما ذلك إلى الله » .

[ط ج ١ ص ١٣٣] .

عن « مالك » ، أنه بلغه أن « عروة بن الربير » ، و « سعيد بن المسيب » ، كان يصليان النافلة ، وهما مخمبان .

[ط ج ٢ ص ١٣٨] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، عن « أبي هريرة » ، أن سائلاً سأل رسول الله ، ﷺ ، عن الصلاة في ثوب واحد ، فقال رسول الله ، ﷺ : « أو لكنكم ثوبان ؟ » .

[ط ج ٢ ص ١٤٠] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه قال . سئل « أبو هريرة » : هل يصلي الرجل في ثوب واحد ؟ فقال :

نعم ، فقيل له . هل تفعل أنت ذلك ؟ فقال . نعم ، إني لأصلي
في ثوب واحد ، وإن ثيابي لعلّي المشجب . [ط ج ١ ص ١٤٠] .
عن « عطاء الخراساني » ، أنه سمع « سعيد بن المسيب » ،
قال « من أجمع إقامة أربع ليال وهو مسافر ، أتم الصلاة » .
قال « مالك » : « وذلك أحب ما سمعت إلى » .

[ط ج ٢ ص ١٤٩] .

عن « مالك » ، أنه بلغه أن « سعيد بن المسيب » قال . يقال
لا يخرج أحد من المسجد بعد النداء ، إلا أحد يريد الرجوع إليه
إلا منافق . [ط ج ١ ص ١٦٢] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه قال .
« ما صلاة يُحَلَسُ هي كل ركعة منها ؟ » .

ثم قال « سعيد » هي المغرب ، إذا قانتك منها ركعة ، وكذلك
سنة الصلاة كلها . [ط ج ١ ص ١٦٩] .

عن « عباد بن تميم » ، عن عمه ، أنه رأى رسول الله ، ﷺ ،
مستلقياً في المسجد ، واضعاً إحدى رجليه على الأخرى .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أن « عمر بن
الخطاب » ، و « عثمان بن عفان » ، رضي الله عنهما ، كانا يعملان
ذلك . [ط ج ١ ص ١٧٢] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه أخبره
أن الناس كانوا يؤمرون بالأكل يوم الفطر قبل الغدو .

قال « مالك » : « ولا أرى ذلك على الناس ، في الأصحى » .
[ط ج ١ ص ١٧٩] .

عن « دفع » ، أن « عبد الله بن عمر » لم يكن يصلي يوم
الفطر قبل الصلاة ولا بعدها ، عن « مالك » ، أنه بلغه أن « سعيد بن
المسيب » كان يفتدو إلى المصلي ، بعد أن يصلي الصبح قبل طسوع
الشمس » .
[ط ج ١ ص ١٨١] .

عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه قال :
« ما صلى رسول الله ، ﷺ ، الظهر والعصر يوم الحندق حتى
غابت الشمس » .
[ط ج ١ ص ١٨٤] .

عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه قال :
« صلى رسول الله ، ﷺ ، بعد أن قدم المدينة ستة عشر شهراً نحو
بيت المقدس ، ثم حولت القبلة قبل بدر بشهرين » .
[ط ج ١ ص ١٩٦] .

عن « عمار بن صيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه سمعه
يقول في الباقيات الصالحات : إنها قول العبد . (الله أكبر ، وسبحان
الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله)
[ط ج ١ ص ٢١٠] .

عن « يحيى بن سعيد » ، أن « سعيد بن المسيب » ، كان يقول :
« إن الرجل ليرفع بدعاء ولده من بعده » ، وقال بيديه نحو السماء
فرفعهما » .
[ط ج ١ ص ٢١٧] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، عن « أبي
هريرة » ، أن رسول الله ، ﷺ ، معى الجاشي للناس ، في اليوم

الذى مات فيه . وخرج بهم إلى المصلى فصف بهم ، وكبر أربع تكبيرات » .
[ط ج ١ ص ٢٢٦] .

عن « يحيى بن سعيد » . قال : سمعت « سعيد بن المسيب » يقول : صليت وراء « أبي هريرة » على صبي لم يعم حطية قط ، فسمعت يقول : « اللهم أعذه من عذاب القبر » .

[ط ج ١ ص ٢٢٨]

عن « أبي شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، عن « أبي هريرة » أن رسول الله ﷺ ، قال : « لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتصه النار ، إلا نخلة القسم » .
[ط ج ١ ص ٢٣٥] .

عن « أبي شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، وعن « أبي سلحة بن عبد الرحمن » عن « أبي هريرة » ، أن رسول الله ﷺ ، قال : « في الركار الحمس » . قل « مالك » . الأمر الذى لا اختلاف فيه عندهما ، والذى سمعت أهل العلم يقولون : إن الركار إنما هو دِقٌّ يوجد من دفن الجاهلية ، ما لم يُطلب بحال ، ولم يُتكلف فيه نفقة ، ولا كبير عمل . ولا مؤونة ، فأما ما طلب بحال ، وتكلف فيه كبير عمل ، فأصيب مرة وأُخطئ مرة هيس بركار » .

[ط ج ١ ص ٢٤٩] .

عن « عبد الله بن دينار » أنه قال : سألت « سعيد بن المسيب » عن صدقة البرادين ، فقال . وهل فى الحيل من صدقة ؟

[ط ج ١ ص ٢٧٨]

عن « عبد الرحمن بن حرملة الأسلمي » ، عن « سعيد بن المسيب »
أن رسول الله ﷺ ، قال : « لا يزال الناس بخير ما عملوا الفطر » .
[ط ج ١ ص ٢٨٩] .

عن « عطاء بن عبد الله الحرّاساني » ، عن « سعيد بن المسيب » ،
أنه قال . جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ يصرب نخره ، ويتف شعره ،
ويقول هلك الأبعد ، فقال له رسول الله ﷺ : « وما ذاك ؟ » فقال .
أصبت أهلي ، وأنا صائم في رمضان ، فقال له رسول الله ﷺ : « هل
تستطيع أن تعتق رقبة ؟ » فقال : لا ، فقال . « هل تستطيع أن تهدي
بدنة ؟ » قال : لا ، قال . « فاجلس » فأتى رسول الله ﷺ بفرق
تمر ، فقال : « خذ هذا فتصدق به » ؛ فقال : ما أحد أحوج مني ،
فقال . « كنه ، وصم يوماً مكان ما أصبت » .

قال « مالك » ، قال « عطاء » ، سألت « سعيد بن المسيب »
كم في ذلك العرق من التمر ؟ فقال « ما بين خمسة عشر صاعاً
إلى عشرين » . [ط ج ١ ص ٢٩٧] .

عن « مالك » ، أنه بلغه عن « سعيد بن المسيب » أنه سئل
عن رجل بدر صيام شهر ، هل له أن يتطوع ؟ فقال سعيد :
« ليبدأ بالنذر قبل أن يتطوع »

قال « مالك » . وينبغي عن « سليمان بن يسار » مثل ذلك .
[ط ج ١ ص ٣٠٢] .

عن « يحيى بن سعيد » ، أنه سمع « سعيد بن المسيب » يُسأل عن
قصاء رمضان ، فقال سعيد : « أحب إلي أن لا يعرق قصاء رمضان
وأن يواتر » . [ط ج ١ ص ٣٠٤] .

عن « مالك » أنه بلغه أن « سعيد بن المسيب » كان يقول
« من شهد العشاء من ليلة القدر ، فقد أحد بخطه منها » .

[ط ج ١ ص ٣٢١] .

عن « يحيى بن سعيد » عن « محمد بن المسيب » أن « أسماء
بنت عميس » ولدت « محمد بن أبي بكر » بذي الحليفة « فأمرها
أبو بكر » أن تعتسل ، ثم تُهل «
[ط ح ١ ص ٣٢٢]

عن « يحيى بن سعيد » ، أنه سمع « سعيد بن المسيب » يقول
في المنطقة يلبسها المحرم تحت ثيابه : « أنه لا بأس بذلك ، إذا جعل
طرقها جميعاً سوراً ، يعقد بعضها إلى بعض »

قال « مالك » . « وهذا أحب ما سمعت في ذلك إلى »

[ط ج ١ ص ٣٢٧]

عن « سعد الرحمن بن حرملة الأسدي » أن رجلاً سأل « سعيد
ابن المسيب » فقال . « أعتمر قبل أن أحج ؟ » فقال سعيد . نعم ،
قد اعتمر رسول الله ﷺ ، قبل أن يحج « [ط ج ١ ص ٣٤٣] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » أن « عمر بن
أبي سلمة » استأذ « عمر بن الخطاب » أن يعتمر في شوال ،
فأذن له . « فاعتمر ثم قفل إلى أهله ، ولم يحج » .

[ط ج ١ ص ٣٤٣] .

عن « يحيى بن سعيد » ، أنه سمع « سعيد بن المسيب » يقول .
« من اعتمر في شوال ، أو في ذي القعدة ، أو في ذي الحجة ،

ثم أقام بعكة حتى يدركه الحج ، فهو منمتع إن حج ، وما استيسر
من أهسى فمن لم يجد مضيام ثلاثة أيام في الحج وسعة إذا رجع .
[ط ج ١ ص ٣٤٥] .

عن « مالت » ، أنه بلغه أن « سعيد بن المسيب » ، وسالم بن
عبد الله و « سليمان بن يسر » سئلوا عن نكاح المحرم ، فقالوا .
« لا ينكح المحرم ولا يُنكح » [ط ج ١ ص ٣٤٩]

عن « يحيى بن سعيد » أنه سمع « سعيد بن المسيب » يحدث
عن « أبي هريرة » أنه أقبل من البحرين ، حتى إذا كان بالربذة
وجد ركبا من أهل العراق محرمين ، فسألوه عن لحم صيد وجدوه
عند أهل الربذة ، فأمرهم بأكله ، قال : ثم إني شككت فيما أمرتهم
به ، فلما قدمت المدينة ذكرت ذلك « عمر بن الخطاب » ، فقال
عمر : ماذا أمرتهم به ؟ فقال أمرتهم بأكله ، فقال « عمر بن
الخطاب » : « لو أمرتهم بغير ذلك لبعثت بك ، يواعده » .
[ط ج ١ ص ٣٥١] .

عن « محمد بن عبد الله بن أبي مريم » ، أنه سأل « سعيد بن
المسيب » عن ظهر له انكسر وهو محرم ، فقال سعيد اقصعه .
[ط ج ١ ص ٣٥٨] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه قال .
« من ساق بدنة تطوعا ، فعطبت ، فحرها ، ثم خلى بينها وبين
الناس يأكلونها ، فليس عليه شيء ، وإن أكل منها ، أو أمر من
يأكل منها ، بحرما » . [ط ج ١ ص ٣٨١] .

عن « يحيى بن سعيد » أنه سمع « سعيد بن المسيب » يقول .

ما ترون في رجل وقع بامرأته وهو محرم ؟ فلم يقل له القوم شيئاً ، فقال « سعيد » : إن رجلاً وقع بامرأته وهو محرم ، فبعث إلى المدينة يسأل عن ذلك ، فقال بعض الناس : يعرق بينهما إلى عام قابل ، فقال « سعيد بن المسيب » - ليفذا لوجهيهما فليتما حجتهما الذي أفسداه ، فإذا فرغا رجعا ، فإن أدركهما حج قابل ، فعليهما الحج والهدي ، ويُهْلَلُ من حيث أهلاً بحجتهما الذي أفسداه ، ويتفرقان حتى يقضيا حجتهما » [ط ج ١ ص ٣٨٢] .

عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » أن « عمر بن الخطاب » قال : « من عقص رأسه ، أو صفر أو لبد ، فقد وجب عليه الخلاق » . [ط ج ١ ص ٣٩٨] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد ابن المسيب » أن « عمر بن الخطاب » لما قدم مكة صلى بهم ركعتين ، ثم انصرف فقال : « يا أهل مكة ، أتموا صلاتكم ، فإننا قوم سفر » ، ثم صلى « عمر بن الخطاب » ركعتين بمعنى . وم يبلغنا أنه قال لهم شيئاً » [ط ج ١ ص ٤٠٢] .

- عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه كان يقول : « في حمام مكة إذا قتل شاة » . [ط ج ١ ص ٤١٥]

عن « يحيى بن سعيد » ، أنه سمع « سعيد بن المسيب » يقول : « كان الناس في العرو ، إذا اقتسموا غائهم ، يعدون البعير بعشرة شاة » . [ط ج ٢ ص ٤٥١] .

وقد قال « سعيد بن المسيب » ، وسئل عن البراذين ، هل فيها من صدقة ؟ فقال : « وهل في الخيل من صدقة » .

[ط ج ٢ ص ٤٥٧] .

عن « عبد الله بن أبي حبيبة » قال . قلت لرجل ، وأنا حديث السن : ما على الرجل أن يقول على مشى إلى بيت الله ، ولم يقم على نذر مشى ، فقال لي رجل : هل لك أن أعطيك هذا الحرو ، لحرو قثاء في يده ، وتقول على مشى إلى بيت الله ؟ قال فقلت نعم ، فقلته وأنا يومئذ حديث السن ، ثم مكثت حتى عقت ، فقيل لي : إن عليك مشيا ، فحجت « سعيد بن المسيب » فسأله عن ذلك فقال لي : عليك مشى فمشيت .

قال « مالك » : « وهذا الأمر عدينا » [ط ج ٢ ص ٤٧٣] .

عن « عروة بن أذينة اللثي » ، أنه قال : خرجت مع حدة لي عليها مشى إلى بيت الله ، حتى إذا كنا بعض الطريق عجزت ، فأرسلت مولى لها يسأل « عبد الله بن عمر » ، فخرجت معه ، فسأل « عبد الله بن عمر » ، فقال له « عبد الله بن عمر » : مرها فتركب ، ثم لتمعش من حيث عجزت .

قال « يحيى » : « سمعت « مالكا » يقول : ونرى عليها مع ذلك الهدى .

وحدثني عن « مالك » أنه يده . أن « سعيد بن المسيب » و « أبا سلمة بن عبد الرحمن » ، كانا يقولان مثل قول « عبد الله بن عمر » .

[ط ج ٢ ص ٤٧٣] .

عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه كان يقول ما ذبح به إذا بضع [قطع] فلا بأس به إذا اضطرت إليه .
[ط ج ٢ ص ٤٩٠] .

عن « يزيد بن عبد الله بن قسيط الليثي » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه كان يقول . « زكاة ما في بطن الذبيحة في ركاة أمه ، إذا كان قد تم خلقه ، وبنت شعره » [ط ج ٢ ص ٤٩٠] .

عن « مالك » ، أنه بلغه أن « سعيد بن المسيب » كان يكره أن تقتل الأنسية بما يقتل به الصيد من الرمي وأشباهه
[ط ج ٢ ص ٤٩١] ،

عن « مالك » عن الثقة عنده ، أنه سمع « سعيد بن المسيب » يقول : أبي « عمر بن الخطاب » أن يورث أحداً من الأعاجم إلا أحداً ولد في العرب .
[ط ج ٢ ص ٥٢٠] .

عن « مالك » ، أنه بلغه عن « سعيد بن المسيب » أنه قال : قال « عمر بن الخطاب » « لا تنكح المرأة إلا بإذن وليها ، أو ذي الرأي من أهلها ، أو السلطان » .
[ط ج ٢ ص ٥٢٥] .

عن « مالك » ، عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه قال . قال « عمر بن الخطاب » : « أيما رجل تزوج امرأة وبها جنون ، أو جذام ، أو يرص ، فمسيها ، فلها صداقها كاملاً ، وذلك لزوجها عزم على وليها » .

قال « مالك » . وإنما يكون ذلك غرمًا على وليها لزوجها إذا كان وبها الذي أنكحها هو أبوها أو أحوها ، أو من يرى أنه يعلم

ذلك منها، فأما إذا كان وليها الذي أنكحها ابن عم، أو مولى، أو من العشيرة، ممن يرى أنه لا يعلم ذلك منها، فليس عليه غرم، وترد تلك المرأة ما أخذته من صداقها، ويترك لها قدر ما تستحل به.»

[ط ج ٢ ص ٥٢٦].

عن « يحيى بن سعيد »، عن « سعيد بن المسيب »، أن « عمر ابن الخطاب » قضى في امرأة إذا تزوجها الرجل، أنه إذا أرخيت الستور فقد وجب الصداق.

عن « مالك »، أنه بلغه أن « سعيد بن المسيب » كان يقول: « إذا دخل الرجل بالمرأة في بيتها، صدّق الرجل عليها، وإذا دخلت عليه في بيته صدقت عليه »، قال « مالك »: أرى ذلك في المسيس إذا دخل عليها في بيتها، فقالت قد مسني، وقال لم أمسها صدق عليها، فإن دخلت عليه في بيته فقال لم أمسها وقالت قد مسني صدقت عليه.

[ط ج ٢ ص ٥٢٩]

عن « مالك » أنه بلغه أن « سعيد بن المسيب » سئل عن المرأة تشترط على زوجها أنه لا يخرج بها من بلدها، فقال « سعيد بن المسيب » يخرج بها إن شاء، قال « مالك »: فالأمر عندنا أنه إذا شرط الرجل للمرأة، وإن كان ذلك عنده عقدة الكاح، أن لا أنكح عليك، ولا أتسرر: إن ذلك ليس بشيء، إلا أن يكون في ذلك معنى بطلاق أو عاقبة، فيجب ذلك عليه ويلزمه.

[ط ج ٢ ص ٥٣٠].

عن « يحيى بن سعيد »، عن « سعيد بن المسيب » أنه كان

يقول . « يُنهي أن تُكح المرأة على عمتها ، أو على حالتها ، وأن يظأ الرجل وليدة ، وفي بطنها حين لعيره » .

[ط ج ٢ ص ٥٣٢]

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، وعن « سليمان بن يسار » ، أن « طليحة الأسدية » كانت تحت رشيد النقي فطلقها ، فكحت في عدتها ، فضربها عمر بن الخطاب « وضرب زوجها بالمخفقة ضربات ، وفرق بينهما ، ثم قال « عمر بن الخطاب » أيما امرأة مكحت في عدتها ، فإن كان زوجها الذي تزوجها لم يدخل بها فرق بينهما ، ثم اعتدت بقية عدتها من زوجها الأول ، ثم كان الآخر حاطبا من الحطاب ، وإن كان دخل بها فرق بينهما ، ثم اعتدت بقية عدتها من الأول ، ثم اعتدت من الآخر ، ثم لا يجتمعان أبداً » .

قال « مالك » . وقال « سعيد بن المسيب » وله مهرها بما يستحل منها » .

[ط ج ٢ ص ٥٣٦]

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، « أنه كان يقول : من تزوج امرأة فلم يستطع أن يمسيها ، فإنه يضرب له أحل ، سنة ، فإن مسيها ، وإلا فرق بينهما » .

[ط ج ٢ ص ٥٨٥]

عن « ابن شهاب » أنه قال : سمعت « سعيد بن المسيب » ، و « حميد بن عبد الرحمن بن عوف » ، و « عبيد الله بن عتبة بن مسعود » ، و « سليمان بن يسار » كلهم يقول : سمعت « أبا هريرة » يقول : سمعت « عمر بن الخطاب » يقول : « أيما امرأة طلقها زوجها تطليقه أو

تطليقتين ، ثم تركها حتى تحل وتنكح زوجها غيره ، فيموت عنها أو يطلقها ، ثم ينكحها زوجها الأول ، فإنها تكون عده وعلى ما بقي من طلاقها .

قال « مالك » : « وعلى ذلك السنة عندنا التي لا اختلاف فيها » . [ط ج ٢ ص ٥٨٦] .

عن « مالك » : أنه بلغه أن « سعيد بن المسيب » و « سليمان ابن يسار » ، « سئلا عن طلاق السكران فقالا : إذا صلى السكران جاز طلاقه ، وإن قتل قتل به » ، قال « مالك » : « وعلى ذلك الأمر عندنا » . [ط ج ٢ ص ٥٨٨] .

عن « مالك » . أنه بلغه أن « سعيد بن المسيب » كان يقول : « إذا لم يجد الرجل ما يتفق على امرأته فرق بينهما »

قال « مالك » . « على ذلك أدركت أهل الحزم يبلدا » . [ط ج ٢ ص ٥٨٩] .

عن « عمرو بن شعيب » ، عن « سعيد بن المسيب » أن « عمر بن الخطاب » كان يرد المتوفى عنهن أزواجهن من البيداء ، بمنعهن الحج . [ط ج ٢ ص ٥٩١] .

عن « مالك » ، أنه بلغه أن « سعيد بن المسيب » ، و « سليمان بن يسار » كانا يقولان : « عدة الأمة إذا هلك عنها زوجها شهران وحمس ليل » . [ط ج ٢ ص ٥٩٣] .

عن « إبراهيم بن عتبة » ، أنه سأل « سعيد بن المسيب » عن الرضاة ، فقال « سعيد » : « كل ما كان في الحولين ، وإن كانت

قصرة واحدة فهو يحرم ، وما كان بعد الحولين ؛ وإنما هو طعام يأكله » . [ط ج ٢ ص ٦٠٤] .

قال « إبراهيم بن عتبة » ثم سأل « عروة بن الرير » ، فقال مثل ما قال « سعيد بن المسيب » . [ط ج ٢ ص ٦٠٤]

عن « يحيى بن سعيد » ، أنه قال سمعت « سعيد بن المسيب » يقول : « لأرضاعة إلا ما كان في المهد ، وإلا ما أنبت اللحم والدم » . [ط ج ٢ ص ٦٠٤]

عن « مالك » ، عن « عبد الحميد بن سهيل » ، عن عبد الرحمن ابن عوف ، عن « سعيد بن المسيب » ، عن أبي سعيد الخدري ، « وعن أبي هريرة » ، أن رسول الله ﷺ استعمل رجلاً على حبير ، فحماه بتمر جنيب ، فقال له رسول الله ﷺ : (أكل تمر خير هكذا ؟) فقال : لا والله يا رسول الله ، إنا لأحد الصاع من هذا بالصاعين ، والصاعين بالثلاثة .

فقال رسول الله ﷺ : (لا تفعل ، يع الجمع بالدراهم ، ثم ابتع بالدراهم جسيماً » [ط ج ٢ ص ٦٢٣]

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أن رسول الله ﷺ نهى عن أخزية وإخافلة ، و« المزانية اشتراه التمر بالتمر^(١) » ، « وإخافلة اشتراه الررع بالحنطة واستكراء الأرض بالحنطة »

(١) قال « مالك » نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المزانية وتفسير المزانية أن كل شيء من الجراف انتهى لا يحسم كيله ولا وزنه ولا عدده ، ابتاع بشيء مسمى من الكيل أو الوزن أو العدد

قال « ابن شهاب » : سألت « سعيد بن المسيب » عن استكراء الأرض بالذهب والورق ؟ فقال : « لا بأس بذلك »

[ط ج ٢ ص ٦٢٥] .

عن « مالك » ، عن « أبي الربيع » ، أنه سمع « سعيد بن المسيب » يقول : « لا ربا إلا في ذهب أو فضة ، أو ما يكل أو يورد ، بما يؤكل أو يشرب » .

[ط ج ٢ ص ٦٢٥]

عن « مالك » ، عن « يحيى بن سعيد » ، أنه سمع « سعيد ابن المسيب » يقول : « قطع الذهب والورق من الفساد في لأرض » .

[ط ج ٢ ص ٦٢٥] .

عن « يزيد بن عبد الله بن قسيط » ، أنه رأى « سعيد بن المسيب » يراطل الذهب بالذهب ، فيفرع دمه في كفة الميزان ، ويعرع صاحبه الذي يراطله دمه في كفة الميزان الأخرى ، فإذا اعتدل لسان الميزان أخذ وأعطى » .

[ط ج ٢ ص ٦٢٨] .

عن « يحيى بن سعيد » ، أنه سمع « جميل بن عبد الرحمن أبو ذر » يقول « سعيد بن المسيب » إني رخص ابتاع من الأوراق التي تعطي الناس بالحار [محل معروف] ، ما شاء الله ، ثم أريد أن أبيع الطعام المصموم على إلى أجل ، فقال له سعيد : أتريد أن توفيهم من تلك الأوراق التي ابتعت ؟ فقال : نعم ، فنهاه عن ذلك .

« يرى الإمام » مالك أن من كان يبتاع طعاما أو حوبا أو شيئا من الأدم تباعا ، فإنه لا يبيعه حتى يمضيه ويستوفيه »

[ط ج ٢ ص ٦٤٢] .

عن « أبي الزناد » ، أنه سمع « سعيد بن المسيب » و « سليمان بن يسار » « ينهيان أن يبيع الرجل حصة بذهب إلى أجل ، ثم يشتري بالذهب تمرًا قبل أن يقبض الذهب » .

[ط ج ٢ ص ٦٤٣] .

قال « مالك » . وإنما نهى « سعيد بن المسيب » ، و « سليمان بن يسار » ، و « أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم » ، و « ابن شهاب » ، عن ألا يبيع الرجل حصة بذهب ثم يشتري لرجل بالذهب تمرًا قبل أن يقبض الذهب من يبعه الذي اشتري منه الحصة ، فأما أن يشتري بالذهب التي باع بها الحصة إلى أجل تمرًا من غير بائعه الذي باع منه الحصة قبل أن يقبض الذهب ، ويحيل الذي اشتري منه التمر على غريمه الذي باع منه الحصة بالذهب التي له عليه في تمر التمر ، فلا بأس بذلك .

قال « مالك » . وقد سألت عن ذلك غير واحد من أهل العلم ، فسمي يروا به بأسًا .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه قال . « لا ربا في الحيوان ، وإنما نهى من الحيوان عن ثلاثة » عن المصامين ، والملاقيح ، وحبل الحيلة ، [والمصامين بيع ما في بطون إناث الإبل ، والملاقيح بيع ما في ظهور الجمال]

[ط ج ٢ ص ٦٥٤] .

عن « زيد بن أسلم » ، عن « سعيد بن المسيب » ، « أن رسول الله ﷺ نهى عن بيع الحيوان باللحم » . [ط ج ٢ ص ٦٥٥]

عن « داود بن الحصين » ، أنه سمع « سعيد بن المسيب » يقول .

« من ميسر أهل الجاهلية بيع الحيوان باللحم ، بالشاة ولشائير » .
[ط ج ٢ ص ٦٥٥]

عن « أبي الرباد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه كان يقول :
« نهى عن بيع الحيوان باللحم »

قال « أبو الرباد » . فقلت سعيد بن المسيب أرأيت رجلاً اشترى
شارفاً بعشرة شاة ؟ فقال سعيد . « إن كان اشترها ليجرها فلا حير
في ذلك » . [ط ج ٢ ص ٦٥٥]

عن « أبي حازم بن دينار » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أن
رسول الله ، ﷺ ، « نهى عن بيع العرر » . [ط ج ٢ ص ٦٦٤]

قال الأزهري : بيع العرر ، ما كان على غير عهدة ولا ثقة ،
وتدخل فيه البيوع التي لا يحيط بكنهها المتبايعان من كل محجور

عن « يحيى بن سعيد » ، أنه سمع « سعيد بن المسيب » يقول
« إذا جئت أرضاً يوقون لمكيل والميران فأطل المقام بها ، وإذا جئت
أرضاً بنقصون المكيال وميزان فأقل المقام بها »

[ط ج ٢ ص ٦٨٥]

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أن رسول
الله ﷺ ، قال ليهود حير ، يوم افتتح حير : « أقرمكم فيها ما أقرم
الله عز وجل ، على أن لتمر بيبس وبيكم » . قال ، فكان رسول
الله ﷺ ، يبعث « عبد الله بن ربيعة » فيحرص بيبس وبيهم ، ثم
يقول : إن شئتم فلكم ، وإن شئتم فلي ، فكانوا يأخذونه

[ط ج ٢ ص ٧١٣]

عن « ابن شهاب » ، أنه قل . سألت « سعيد بن المسيب »
عن كراء الأرض بالذهب والورق . فقال . « لا بأس به » .
[ط ج ٢ ص ٧١١]

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، وعن
« أبي سعدة بن عبد الرحمن بن عوف » ، أن رسول الله ﷺ ،
« قضى بالشفعة فيما لم يقسم بين الشركاء ، فإذا وقعت الحدود
بينهم فلا شفعة فيه » .

قال « مالك » - « وعلى ذلك أسسة التي لا اختلاف فيها عندنا »
[ط ج ٢ ص ٧١٣]

قال « مالك » : إنه يلحق أن « سعيد بن المسيب » سئل عن
الشفعة هل فيها من سنة ؟ فقال : « نعم الشفعة هي الدور والأرضين ،
ولا تكون إلا بين الشركاء » .
[ط ج ٢ ص ٧١٤]

عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أن « عمر
ابن الخطاب » اختصم إليه مسلم ويهودى ، فرأى عمر أن الحق
 لليهودى ، فقضى له ، فقال له اليهودى . والله لقد قضيت باحق ،
فصر به « عمر بن الخطاب » بالدرة ثم قال وما يدريك ؟ فقال
له اليهودى : إن تجد أنه ليس قاض يقضى باحق ، إلا كان عن
يمينه ملك وعن شماله ملك يسددانه ويوفقانه للحق ، ما دام مع
الحق ، فإذا ترك الحق عرجا وبركاه : [ط ج ٢ ص ٧١٩]

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أن رسول
الله ﷺ قال : « لا يفلق الرحمن » .

قال « مالك » . وتفسير ذلك فيما يرى والله أعلم ، أن يرهن
الرجل الرهن عند الرجل بالشئ ، وفي الرهن فصل عما رهن به ،
فيقول اراهن لسرتهن : إن جثتك بحقت إلى أجل يسميه له ،
وإلا فالرهن لك بما رهن فيه

قال : فهذا لا يصح ولا يحل ، وهذا الذي نهى عنه ، وإن
جاء صاحبه بالدى رهن به بعد الأجل فهو له ، وأرى هذا اشترط
مفسحاً . [ط ح ٢ ص ٧٢٨] .

عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أن رجلاً
من أهل الشام يقال له « ابن خبيري » ، وجد مع امرأته رجلاً قتلته ،
أو فنيهما معا ، فأشكل على « معاوية بن أبي سفيان » القصاص فيه ،
فكتب إلى « أبي موسى الأشعري » يسأل له « علي بن أبي طالب »
عن ذلك ، فسأل « أبو موسى » علي بن أبي طالب ، « فقال له علي .
إن هذا الشئ ما هو بأرضي ، عزمت عليك لتخبرني ، فقال له
« أبو موسى » : كتب إلى معاوية بن أبي سفيان » أن أسألك عن
ذلك ، فقال « علي » . أن أبو حمس : إن لم يأت بأربعة شهداء فليعط
برمته .

« أي يسلم إلى أوثياء المقتول فإن شاؤوا طموا القصاص وإن
شاؤوا » عموماً .

يقول الأستاذ قواد عبد الباقي :

والرمة قطعة من حبل ، لأبهم كانوا يقودون القاتل إلى ولي
المقتول يحس ، ولذا قيل ، القود » [ط ح ٢ ص ٧٢٧] .

عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أن
« عمر بن الخطاب » قال وهو مسند ظهره إلى الكعبة : « من
أحد صيانة فهو ضال » . [ط ج ٢ ص ٧٥٩]

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أن « عثمان بن
عمران » قال : « من تحمل ولدا له صغيرا [أعطاه شيئا بغير عوض
عن طيب نفس] ، لم يبلغ أن يجور نَحْتَهُ ، فأعلن ذلك له ، وأشهد
عليها ، فهي جائزة وإن وليها أبوه » . [ط ج ٢ ص ٧٧١]

حدثني « مالك » أنه بلغه أن « سعد بن المسيب » سئل عن
عد به ولد من امرأة حرة لم يولاهم ؟ فقال سعيد : « إن مات
أبوهم وهو عبد لم يعق قولاهم لموالي أمهم »

[ط ج ٢ ص ٧٨٢]

عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أن رجلاً
من أسلم جاء إلى « أبي بكر الصديق » فقال له : إن الآخر ربي ،
فقال له أبو بكر : هل ذكرت هذا لأحد غيري ؟

فقال : لا ، فقال له « أبو بكر » : هب إلى الله ، واستتر بستر
الله ، فإن الله يقبل التوبة من عباده ، فلم تقرره بفسه حتى أتى
« عمر بن الخطاب » فقال له مثل ما قال « لأبي بكر » ، فقال
عمر مثل ما قال له « أبو بكر » ، فلم تقرره بفسه حتى جاء به
رسول الله ﷺ فقال له : إن الآخر زنى ، فقال « سعيد » : فأعرض
عنه رسول الله ﷺ ثلاث مرات ، كل ذلك يعرض عنه رسول الله
ﷺ حتى إذا أكثر عليه ، بعث رسول الله ﷺ إلى أمه فقال
« أيشنكي أم به حقة ؟ » فقاموا ، يا رسول الله ، والله إنه لصحيح ،

فقال رسول الله ﷺ : « أكر أم ثيب ؟ » فقالوا : بل ثيب يا رسول الله ، « فأمر به رسول الله ﷺ فرجم » . [ط ج ٢ ص ٨٢٠]

عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه قال : بنفى أن رسول الله ﷺ قال لرجل من أسلم ، يقال له « هزأ » : « يا هزال » ، « لو سترته برد ثك لكان خيراً لك » قال « يحيى بن سعيد » ، فحدثت بهذا الحديث في مجلس فيه « يزيد بن نعيم بن هزال الأسلمي » ، فقال يزيد . « هزال جدى ، وهذا الحديث حق » . [ط ج ٢ ص ٨٢١]

عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه سمعه يقول لما صدر « عمر بن الخطاب » من مى أباخ بالأبطح ، ثم كوم كومة بطحاء ، ثم طرح عليها رداءه واستلقى ثم مد يديه إلى السماء فقال : اللهم كبرت سى ، وضعفت قوتى ، وانتشرت رعيتى ، فاقبضنى إليك عبر مصيغ ولا مصرط ، ثم قدم المدينة فخطب الناس ، فقال : أيها الناس قد ، سنت لكم أسنن ، وفرضت لكم الفرائض ، وتركتم على الواضحة إلا أن تضلوا بالناس يميناً وشمالاً ، وصرب بإحدى يديه على الأخرى ، ثم قال : إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم ، أن يقول قائل لا نجد حديث فى كتاب الله ، فقد رجم رسول الله ﷺ ، ورجمنا ، والذى نفسى بيده ، لولا أن يقول الناس . زاد عمر بن الخطاب فى كتاب الله تعالى لكتبها (الشيخ والشيخة فارجعوهما إلى البتة) ، فإننا قد قرأناهما

قال « مالك » . قال « يحيى بن سعيد » : قال « سعيد بن المسيب » فما اتسلح ذو الحجة حتى قتل عمر ، رحمه الله . [ط ج ٢ ص ٨٢٤]

عن « يحيى بن سعيد » ، أنه سمع « سعيد بن المسيب » يقول .
 « ما من شيء إلا الله يحب أن يعفى عنه ، ما لم يكن حداً » .
 [ط ج ٢ ص ٨٤٣] .

عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه كان
 يقول : تعاقب المرأة لرجل إلى ثلث الدية . إصبعها كإصبعه ، وسها
 كسه ، وموضحتها كموضحته ، ومُنْقَلَبُهَا كمنْقَلَبِهِ .
 [ط ج ٢ ص ٨٥٣] .

عن « ابن شهاب » ، « عن سعيد بن المسيب » ، أن رسول
 الله ﷺ قصى في الجبين يقتل في بطن أمه بغرة ، « عبد أو وليدة » ،
 فقال الذي قصى عليه : كيف أعزم ما لا شرب ولا أكل ، ولا نطق
 ولا استهل ، ومثل ذلك بطل ، فقال رسول الله ﷺ . « إنما هذا
 من إخوان الكهان » .
 [ط ج ٢ ص ٨٥٥] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه كان يقول
 في الشفتين الدية كامنة . فإذا قطعت السفلى نفضت ثلث الدية .
 [ط ج ٢ ص ٨٥٦] .

عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه قال .
 « كل نافذة [كل جراحه نافذة] في عضو من الأعضاء ففيها ثلث
 عقل ذلك العضو » .
 [ط ج ٢ ص ٨٥٩] .

حدثني « مالك » : كان « ابن شهاب » لا يرى ذلك ، وأنا
 لا أرى في نافذة هي عضو من الأعضاء هي الجسد أمراً مجتمعاً
 عليه ، ولكني أرى فيها الاجتهاد ، يجتهد الإمام في ذلك ، وليس
 في ذلك أمر مجتمع عليه .
 [ط ج ٢ ص ٨٥٩] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، وأبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن « أبي هريرة » ، أن رسول الله ﷺ قال « جرح العجماء جبار ، والبشر جبار ، والمعدن جبار (١) . وفي الركاز الخمس قال مالك وتفسير الجبار أنه لا شيء فيه . [ط ج ٢ ص ٨٦٩]

عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أن « عمر بن الخطاب » قتل بهراً خمسة أو سبعة برجل واحد قتلوه قتل غيلة ، وقال « عمر » : « لو تملاً عليه أهل صعاء لقتلهم جميعاً » . [ط ج ٢ ص ٨٧١]

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، عن « أبي هريرة » ، أنه كان يقول لو رأيت الأطباء بالمدينة ترتع ما دعرتها ، قال رسول الله ﷺ . « ما بين لابسها حرام » [ط ج ٢ ص ٨٨٩]

عن « يحيى بن سعيد » ، أنه قال : سمعت « سعيد بن المسيب » يقول . « ألا أحبركم بخير من كثير من الصلاة والصدقة ؟ قالوا : بلى قل : إصلاح ذات البين ، وإياكم والبغضة . فإنها هي الخالقة » [ط ج ٢ ص ٩٠٤]

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، عن « أبي هريرة » أن رسول الله ﷺ ، قال : « ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » . [ط ج ٢ ص ٩٠٦]

(١) جبار : أى هدر لا شيء فيه . والمراد بالعجماء البهيمة ، ومن مات فى حجر حر بانهير البئر عليه ، ومن مات وهو يحث عن المعدن فانهار عليه المكان . كل ذلك هدر لا شيء به

عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه قال :
 كان إبراهيم ، عليه السلام ، أول الناس صبيء الضيف ، وأول الناس احتتن ،
 وأول الناس قص الشارب ، وأول الناس رأى الثيب ، فقال . يارب .
 ما هذا ؟ فقال الله تبارك وتعالى . « وقار يا إبراهيم » ، فقال : رب
 زدني وقارا » . [ط ج ٢ ص ٩٢٢] .

عن « صدقة بن يسار » ، أنه قال : « سألت « سعيد بن المسيب »
 عن لبس الحاتم . فقال البسه ، وتخير الناس أتى أفتيتك بذلك » .
 [ط ج ٢ ص ٩٣٦] .

عن « عبد الرحمن بن حرملة » ، عن « سعيد بن المسيب » ،
 أنه كان يقول : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، « الشيطان يهم بالواحد
 والاثنين ، فإذا كانوا ثلاثة لم يهم بهم » . [ط ج ٢ ص ٩٧٨] .

الفصل الخامس من حكمه

قال « سعيد بن المسيب » :

« إن لديها بذلة ، وهي إلى كل بذل أميل ، وأنزل منها من أخذها بعير حقه ، وطسها بعير وجهها ، ووصعها بي عير مسيلها^(١) » .

وكان يقول ، وقد أتت عليه أربع وثمانون سنة :

« ما شيء أخوف عندي من النساء^(٢) » .

وكان يقول :

« اليس كنهم تحت كنف الله يعملون أعمالهم ، فإذا أراد الله عز وجل فصيحة عبد أخرجته من تحت كنفه ، فبذت للناس عورته^(٣) » .

وكان رضى الله عنه يقول ،

« لا تمتثلوا أعيانكم من أعوان لظلمة إلا بالإلكار من قلوبكم لكي لا تحبط أعمالكم الصالحة^(٤) » .

(١) حبة الأولياء

(٢) الصبغات الكبرى

(٣) الصبغات الكبرى لشعراني

(٤) الصبغات الكبرى

وكان رضى الله عنه يقول .

« لا تقولوا مسيحدا ، ولا مصيحفا ، بالتصغير ، فتصغروا ما كان لله تعالى ، فهو عظيم جليل ^(١) »
وكان يقول :

« من استعصى بالله انتقر الناس إليه ، وكان الناس يستأذنون عليه من هيئته كما يستأذنون على الأمراء ^(٢) » .
وكان يقول .

« ليس من شريف ولا عالم ولا دى فضل إلا وفيه عيب ، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه ؛ فمن كان فضله أكثر من نقصه ، وهب نقصه لفضله ^(٣) » ؛ رضى الله عنه .
وحدث « سعيد بن المسيب » قال :

« ما أكرمت العباد أنفسها بمثل طاعة الله عز وجل ؛ ولا أهانت أنفسها بمثل معصية الله ، وكفى بالملئوس بصرة من الله أن يرى عدوه يعمل بمعصية الله ^(٤) » .

وقال : « إنه ليس من شريف ولا عالم ولا دى فضل إلا وفيه عيب ، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه ^(٥) » .

(١) الطبقات الكبرى .

(٢) الطبقات الكبرى .

(٣) الطبقات الكبرى .

(٤) الطبقات الكبرى .

(٥) الطبقات الكبرى .

وعن « عبد الله بن أحيى الرهرى » ، عن عمه ، عن « سعيد بن المسيب » قال :

« من استغنى بالله افتقر الناس إليه ^(١) »

وحدث « علي بن زيد » قال :

رأى « سعيد بن المسيب » وعى جنة خز ، فقال : إنك لجيد
الجنة ،

قلت : وما تمى عى وقد أفسدها على سالم ، فقال « سعيد »

« أصلح قلبك ، والبس . ما شئت ^(٢) » .

وحدث حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد أن سعيد بن المسيب
كان يكثّر أن يقول فى مجلسه « اللهم سلم سم ^(٣) !! ! » .

وقد سمع « عبيد الله بن عبد الرحمن » « سعيد بن المسيب »
يقول :

« يد الله فوق عماده ، فمن رفع نفسه وضعه الله ، ومن وضعها
رفعه الله ، الناس تحت كتفه يعملون أعمالهم ، فإذا أراد الله فصيحة
عبد أخرجته من تحت كتفه فبليت للناس عورته ^(٤) » .

(١) الطيفات الكبرى

(٢) الحلية

(٣) الحلية .

(٤) الحلية

الفصل السادس تعبيره للرؤى

لقد رأى الناس الأحلام منذ أن وجدوا على ظهر لبيطة ، واحتلف الناس فى موقف بالنسبة لها ، بعضهم لا يعيرها اهتماماً ، إنها صور تمر على الإنسان فى نومه ، ولا تستأهل أكثر من « اللامبالاة » .. ونوع آخر من بنى الإنسان يتفعل بالرؤى الطيبة ، ويتشائم من الرؤى السيئة ..

ولقد تحدثت الأديان عن الرؤى ، وكانت الرؤى مدار بحث فى علم النفس الحديث

ولقد وقف منها علم النفس الحديث موقفه من كل الطواهر .. إنه يفسرها تفسيراً مادياً ، ويعزوها إلى أحد عاملين :

عامل البيئة المحيطة بالإنسان ، من دفء وبرودة ، ومن ضوء أو ظلمة ، ومن ضجيج أو سكون ، وقد أجرى التحارب على ذلك أنصاء لنور الساطع فى غرفة النائم ، ثم أيقظه ، فإذا به يحلم بيزوع الشمس مثلاً ، وقرب منه أشياء تشع الحرارة فإذا به يرى حتماً يابسها ، وهكذا

والعامل الثانى فما يرى عدم النفس الحديث هو الحالة الدخلية للإنسان نفسية كانت أو جسمية .

إن الحلة الداخلية تعكس أحلاماً ، يرى الإنسان ما يتناسب معها .
 وم يعد علم النفس الحديث هذين العاملين في تفسير الأحلام .
 ولكن الأديان تذكر ذلك ، وتذكر قسمًا ثالثًا من الرؤى هو
 الرؤيا الصادقة .

فيها تذكر الرؤيا التي من النفس
 وتذكر الرؤيا التي من الشيطان
 وتذكر الرؤيا التي من الملاك ،
 وتذكر الرؤيا التي من الله تعالى ،
 والفرق بين الرؤيا التي من الملك والرؤيا التي من الله تعالى إنما
 هو فرق في الوصوح .

وتقول السيدة « عائشة » رضي الله عنها :
 « أول ما ندى به رسول الله ، ﷺ ، من الوحي : الرؤيا
 الصادقة ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح »
 وهذا الروح يسمى الرؤيا الصادقة ، ورؤيا الأنبياء حق . ولقد
 آمن سيدنا إبراهيم عليه السلام برؤياه هي أمر حطير ، هو دبح
 ابنه « إسماعيل » وصارحه قائلاً :

﴿ يَا بَنِي إِلَى أَرَى فِي انِّام أَنِّي أَبْلُوكُ ﴾^(١) .
 وآمن سيدنا إسماعيل « برؤيا والده ، واعتبرها أمراً ، وقال لوالده :

(١) الصادق ١٠٢

﴿يَا أَيَّتُهَا آفْعَل مَا تُؤْمَرُ﴾^(١)

وسورة سيدنا يوسف « ثبتيء. برؤيا

﴿إِذْ قَالَ يَوْسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾^(٢) .

وينصحه أبوه أن لا يقص رؤياه على إخوته ، حتى لا يكيدوا له كيدًا .

ويأخذ والده في شيء من تعبير هذه الرؤيا فيقول له

﴿وَكَذَلِكَ يَحْتَبِكُ رِبِّكَ ، وَيَعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ، وَيَقَمُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾^(٣)

وفي أواخر السورة يقول القرآن الكريم عن سيدنا يوسف « .

﴿وَرَفَعَ أَبُوهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ، وَقَالَ يَا أَيُّهَا هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ ، قَدْ جَعَلْتُهَا رَبِّي حَقًّا ، وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ ، وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ ، مِنْ بَعْدِ أَنْ بَرَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ، إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ ، إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾^(٤) .

وسورة « يوسف » على وجه العموم بها عدة رؤى ، وبها تعبرها .

وقد استعمل لقرآن لفظ التأويل .

(١) الصلوات ١٠٢

(٢) يوسف : ٤١ .

(٣) يوسف : ٦٠ .

(٤) يوسف : ١٠٠

وأبأن القرآن أن هذا التأويل هو منحة من الله تعالى ، يقول
مينا « يوسف » شاكراً لله ألعمة :

﴿رب قد آتيتنى من المثلث ، وعلمسى من تأويل الأحاديث﴾^(١) .
﴿هذا تأويل رؤياى من قبل﴾^(٢) .

وقد تحدث من منحهم الله تعالى تأويل الرؤيا عن شروط ، وعن
سمات للرؤى الصادقة ، منها :

١ - أن يكون فى الرؤيا مفتاح لتأويلها ، إذا كانت رمزية ،
وقد تكون الرؤيا صريحة ، وفى هذه الحالة لا تحتاج إلى مفتاح

٢ - وأن يكون الإنسان فى أثنائها هادئاً ، حتى الرؤى الجنسية ،
فإنها لا يصاحبها انفعال ولا إثارة .

٣ - وأن يتذكرها الإنسان فى وضوح ، حتى لكانها مطبوعة
فى نفسه

والرؤى الصادقة منح وهبات

وتأويلها منح وهبات ، وتعلم وتلقين .

وإذا ما جئنا الآن إلى الإمام « سعيد » فإن عدة ظروف تكاثفت
لتجعله من المؤولين ، منها :

درسته العميقة للقرآن والسنة ، وكل من درس القرآن والسنة

(١) يوسف ١٠١ - ١٠٢

(٢) يوسف ١٠١

في استفاضة فإنه يمر عليه دلالات ورؤى لرسول الله ﷺ ،
ولغيره ، ويرى تأويلها .

ومن المعروف أن رسول الله ﷺ ، كان يسأل الصحابة حينما
يلتقى بهم في الصباح عن رؤاهم ، وكان يعبرها هم ، وكان أحياناً
يطلب من « أبي بكر » رضى الله عنه تعبيرها .

ومنها ورعه وتقواه ، وهما يقود إلى آخرين :
(أ) صفاء النفس .

(ب) الإطعام أو الفتح .

وإذا أضيف الورع والتقوى إلى العلم بالكتب والسنة ، وصل
إلى إسهاد إلى صفاء للنفس أصفى ، وإلى إطعام يتوالى وفتح مشرق
وكل ذلك كان عند « سعيد » ،

والمؤرخون « لسعيد » يضيفون عاملاً في غاية الأهمية

إنهم أولاً - يتحدثون عن خاصية التعبير عند « سعيد » .
فيقول « ابن قتيبة » مثلاً :

« كان « سعيد » أفقه أهل الحجاز ، وأعبر الناس للرؤيا »

أكان « ابن قتيبة » يربط بين الفقه الغزير وبين السرف في تعبير
الرؤيا ؟

إن المؤرخين على كل حال يعتبرون « سعيداً » من أعبر الناس
للرؤيا ، ويذكرون أمثلة من المعبرين ، ويذكرون بالسبب « لسعيد »
سبباً :

أما الأمثلة فيقول « القرطبي » :

« كان » يوسف « عليه السلام أعمد أسس بتأويل الرؤيا » .

وكان نبينا ، ﷺ ، نجر ذلك

وكان « الصديق » رضى الله عنه من أعبر الناس للرؤيا .

ونحو أو قريب منه « سعد بن المسيب » فيما ذكروا .

أما السلسلة بالسبب « لسعيد » ، فيقول « الواقدي » :

كان « سعيد بن المسيب » من أعبر الناس للرؤيا ، وكان أخذ

ذلك عن « أسماء بنت أبي بكر » وأحدثه « أسماء » عن أبيها أبي بكر « رضى الله عنه

ومن المعروف أن الإمام « محمد بن سيرين » كان من كبار المؤولين .

ولتأويله غرائب عجيبة تذكر لتدهش ، وعن « سعيد » و « ابن

سيرين » يقول الإمام « الحافظ العراقي » :

أخذ « ابن سيرين » التعبير عن « ابن المسيب »

وأخذه « ابن المسيب » عن « أسماء » .

وأحدثه « أسماء » عن أبيها

وكان « ابن سيرين » كلمات محفوظة ، يقوله للرجل إذا رأى

رؤيا وقصها عليه « كان يقول له :

« خيرا رأيت » .

وكانت له قواعد عامة استمدتها من تأويلات رسول الله ، ﷺ ،

فهو يقول مثلاً :

« القيد في النوم ثبات في الدين » .

يقول الإمام « البحارى » . وكان يعجبهم لقيد ، ويقال : القيد ثبت في الدين .

وروى الإمام « البحارى » عن « عبد الله بن صباح » ، عن « معتمر » ، عن « عوف » ، عن « محمد بن سيرين » . أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله ، ﷺ :

« إذا اقترب الرمان لم تكذب رؤيا المؤمن ، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » .

قال محمد [ابن سيرين] : وأنا أقول هذا ، قال . وكان يقال . الرؤيا ثلاث : حديث النفس ، وتخويف الشيطان ، وبشرى من الله ، فمن رأى شيئاً يكرهه ، فلا يقصده على أحد ، وليقم فليصل . قال . وكان يكره العلل في النوم ، وكان يعجبهم القيد

ويقال : القيد ثبات في الدين .

وروى « قتادة » « ويونس » « وهشام » « وأبو هلال » . عن « ابن سيرين » ، عن « أبي هريرة » ، عن النبي ، ﷺ .

وأخرجهم بعضهم كله في الحديث .

وحديث عوف أمين .

وهو الحديث الذي روّاه .

[عن ابن « سيرين » أنه سمع « أبي هريرة » يقول : قال رسول الله ، ﷺ : إذا اقترب الرمان] .

وقال يونس : لا تحسبه إلا عن السي ، ﷺ ، هي القيد .
قال « أبو عبد الله » : لا تكون الأغلال إلا في الأعناق
ويقول « سعيد » :

« التمر في النور رزق على كل حال ، والرطب في زمانه ورق »
روى « مسلم » ، عن « أنس » ، قال : قال رسول الله ، ﷺ .
« رأيت ذاب ليلة مما يرى السائم كأنه في دار » عقبة بن رافع « ،
فأوتيد برطب من رطب ابن طاب ، فأولت أن الرفعة لنا في الدنيا ،
ولعاقبة في الآخرة وأن ديننا قد طاب » .
أما عن زمن تحقق الرؤيا فقد يطول ، وقد يكون فوراً ، وقد
يكون بين هذا وذاك .

ويقول سعيد .

« آخر الرؤيا أربعون سنة يعنى في تأويلها »
وبذا جئنا الآن إلى سادج من تأويله حيث بدأ بهذه الرؤيا ،
الغريب تأويلها ، ولتى تحققت كما أوطأ :
عن ثمر بن حبيب بن قريع ، قال :

« كنت جالماً عند « سعيد بن المسيب » يوماً ، وقد صاقت
على الأشياء ، ورهقي دين ، فجلست إلى « ابن المسيب » ، أدرى
أين أذهب ، فجاءه رجل فقال :
يا أبا محمد ، إني رأيت رؤيا .
قال : خيراً رأيت ، ما هي ؟

قال : رأيت كآبى أخذت « عبد الملك بن مروان » فأصبحته إلى لأرض ، ثم بطحته فأوندت في ظهره أربعة أوتاد .

قال : ما أنت رأيتها .

قال : بلى « أنا رأيتها .

فقال : لا أخحرك أو تخبرنى .

قال : ابن الزبير رآها وهو يعنى إليك .

قال : لئن صدقت رؤياه قتله « عبد الملك بن مروان » ، وحرر من صلب « عبد الملك » أربعة كتبهم يكون حليفة

قال قدحلت إلى « عبد الملك بن مروان » بالشهم فأخبرته بذلك عن « سعيد بن المسيب » ، فسرره ، وسألنى عن « سعيد » وعن حاله ، فأخبرته ، وأمرنى بقصاء دينى وأصت منه خيراً .

وروى « ابن سعد » أيضاً رؤيا فى هذا الموضوع قال . قال رجل :

رأيت كأن « عبد الملك بن مروان » يمشى فى قبلة مسجد نبى .
فقال ربيع مرات ، فذكرت ذلك « لسعيد بن المسيب » فقال
« إن صدقت رؤياك قام فيه من صلبه أربعة حنفاء »

وعن « شريك بن أبى نمر » قال :

قلت « لابن المسيب » رأيت فى النوم كأن أسانى سقطت فى يدى ثم دفنتها ، فقال « ابن المسيب » : « إن صدقت رؤياك دفنت أسانك من أهل بيتك » .

وقال رجل « لابن المسيب » :

إني أراي أُول في يدي ، فقال :

اتق الله ، فإن تحتك ذات محرم . فطر فاذا امرأة بيها وبيه
رصاع .

وجاءه آخر فقال . يا أبا محمد ، إني أرى كائى أُول في أصل
ريتونة ، قل : انظر من تحتك ، تحتك ذات محرم ، فطر فاذا امرأة
لا يحل له نكاحها

وعن « الحصين بن عبيد الله بن نوفل » من بني نوفل بن عدى
ابن خويلد بن أسد بن عبد العزى ، قال :

طلبت الولد فتم يولد لى ، فقلت « لابن المسيب » إني أرى
أنه طرح فى حجرى بيض ، فقال « ابن المسيب » الدجاج عجمى ،
فاطلب سبباً إلى العجم ، قال : فسريرت فولد لى وكان لا يولد
لى

وبعد . فإن الرؤى الصادقة حقيقة واقعة ، وإذا كان علم النفس
الحديث لا يذكرها ، فذلك لأنه يدور فى فلك المادة ، أما المؤمنون
فإنهم يسيرون على ضوء من الكتاب المبارك ، وعلى ضوء من سنة
رسول الله ، ﷺ ، وعلى ضوء من الواقع الذى لا يكره إلا من
على بصيرته حجاب ، يحجبها عن النور والإشراق .

الفضل السابع وفاته

ومضت الأيام بسعيد محاهدًا في سبيل الله لا يفتر ،
مضت به متعلمًا ، وعالمًا ، ومعلمًا ،
مضت به ناصحًا لعامة المسلمين وأئمتهم .
وقد جاء أحد الصحابة - قبل إسلامه - إلى رسول الله ، ﷺ ،
فقال :

أبايعك على الإسلام ؟

فقال رسول الله ، ﷺ : « والنصح لكل مسلم » .
وبدأت الحياة تنتهي بسعيد ، وبدأت أيامه الأخيرة تنصرم يومًا
بعد يوم .

ما هي صورته في أيامه الأخيرة ؟

كان حاد الذهن ، مشبهًا لما يقتضيه الشرع

إنه يتجه إلى أهله فيقول في حزم :

« إذا مت فلا تضربوا على قبري سوطًا ، ولا تحموني على
قصبة حمراء ، ولا تتبعوني بنار ، ولا تؤذنوا بي أحدًا ، حسبي
من يبلغني ربي ، ولا يبعثني راجزهم هذا » !

ولا يكتفى بذلك ، وإنما يشهد على ما نصح به أهله .

عن « زرعة بن عبد الرحمن » ، قال :

شهدت « سعيد بن المسيب » يوم مات يقول « زرعة » :
« يـ شـهـدك على ابـي محمد » لا يؤذني بي أحد ، حسبي أربعة ،
يحملوني إلى ربي ، ولا تتبعني صائحه تقول في ما ليس في ؟

ويتحدث « سعيد بن المسيب » إلى الناس عامة فيقول

أوصيت أهلي إذا حضرنى الموت بثلاث :

« ألا يتبعني راجز ، ولا نار ، وأن يعجل بي ، فإن يكن عند
ربي خير فهو خير مما عندكم » .

ومع مرضه بأنه ما كان يترك أمرين :

الأول منهما : الاستمرار في إفادة الناس .

يقول صاحب البداية وكان « سعيد بن المسيب » من أروع
الناس فيما يدخل بيته وبطبه ، وكان من أهد الناس في فصول
الدنيا ، والكلام فيما لا يصى ، ومن أكثر الناس أدباً في الحديث .

جاءه رجل وهو مريض فسأله عن حديث ، فجلس فحدثه ،

ثم اصطحع ، فقال الرجل وددت أنك لم تتعن ؟

فقال . إني كرهت أن أحدثك عن رسول الله ، ﷺ ، وأنا

مضطجع !

أما الأمر الثاني : فهو الصلاة .

يقول « ابن سعد » في طبقاته . عن « عبد الرحمن بن حرملة » قال :

رأيت « سعيد بن المسيب » في مرضه يصلي مضطجعا مستلقيا ،
فيوميء برأسه إلى صدره إيماء ولا يرفع إلى رأسه شيئا ، وقل
« سعيد » :

امريض إذا لم يستطع الجلوس أو ما إيماء ، ولم يرفع إلى رأسه
شيئا^(١)

ويقول « عبد الرحمن بن حرملة » أيضا دخلت على « سعيد
ابن المسيب » وهو شديد المرض وهو يصلي الظهر ، وهو مستلق
فيوميء إيماء ، سمعته يقرأ بـ (الشمس وضحاها) ١

يبد أن أمرا آخر كان « سعيد » متبها له وهو في مرضه ،
وهو أمر المان الذي كان عنده ثمره لتجارته المحدودة .

ما هو موقفه من ، وهو في لحظة الأخيرة ؟

عن « يحيى بن سعيد » قال : لما حصر « سعيد بن المسيب »
الموت ترك ثنائير ، فقال :

« اللهم إني تعلم أي لم أتركها إلا لأصون بها حسي وديني » . ١
ومات « سعيد بن المسيب » .

يقول صاحب شذرات الذهب في سنة أربع وتسعين : توفي
الإمام السيد الجليل « أبو محمد سعيد بن المسيب المحرومي المدني »
أحد أعلام الدنيا ، سيده التابعين .

(١) الإيماء الإشارة بالأعضاء كالرأس واليد والعين والجنب ، وإنما يريد هنا الإيماء
بالرأس

ويقول « ابن حجر » مات بعد التسعين وقد ناهز الثمانين .
والمشهور من هذه الأقوال أنه توفي سنة أربع وتسعين ، وقال
« السخاوي » : هو الصحيح .

ويقول « عبد الحكيم بن عبد الله بن أبي فروة » :
شهدت « سعيد بن المسيب » يوم مات ، فرأيت قبره قد رش
عليه الماء .

ونختم ذلك بما روى عن « مكحول » : قال :
لما مات « سعيد بن المسيب » استوى الناس ، ما كان أحد يأنف
أن يأتي حلقة « سعيد بن المسيب » ، ولقد رأيت فيها مجاهدًا
وهو يقول :

« لا يزال الناس بخير ما بقى بين أظهرهم »

رحمه الله رحمة واسعة ، يقول سيحانه :

﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين
آمَنُوا وكانُوا يَتَّقُونَ ، لهم البشْرى فى الحياة الدنيا ، وفى الآخرة ،
لا تبدل لكلمات الله ذلك هو القور العظيم﴾^(١) .

(١) يونس : ٦٢ - ٦٤ .

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
الفصل الأول : حياته	١١
(١) عن حياته	١١
(٢) عن حياته	٢٣
(٣) عن حياته	٣١
الفصل الثاني : طابعه	٣٩
الفصل الثالث : امتحان ومحنة	٥٩
(١) امتحان ومحنة	٥٩
(٢) امتحان ومحنة	٦٧
(٣) امتحان ومحنته	٧٥
(٤) امتحان ومحنته	٨٢
الفصل الرابع : سعيد بن المسيب	٨٩
(١) المحدث	٨٩
(٢) الفقيه	٩٧

الصفحة	الموضوع
١٣٣	الفصل الخامس : حكمه
١٣٣	من حكمه
١٣٧	الفصل السادس : تعبيره للرؤى
١٣٧	تعبيره للرؤى
١٤٧	الفصل السابع : وفاته
١٤٧	وفاته

١٩٩٦ / ١٣٢٣	رقم الإيداع
ISBN 977-02-5267-0	الترقيم الدولي

١ / ٩٣ / ٧٠

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.م.ع.)



يَعُدُّ الإمام الأكبر فضيلة الدكتور عبد الحليم
محمود صاحب ورائد مدرسة الفكر الإسلامى
والتصوف فى العصر الحديث ، ولقب بأبى
التصوف فى العصر الراهن ، فقد أثرى المكتبة
العربية بأهميات الكتب بين تحقيق وتأليف
وترجمة ، فمنها دراساته القيمة عن الإمام الغزالى
وكتابه ، المنقذ من الضلال ، ، و ، دلائل
النبو ، ، و ، القرآن فى شهر القرآن ، إلى
جانب ما كتبه عن رواد التصوف على مر العصور
الإسلامية المختلفة .

والإمام الأكبر فضيلة الدكتور عبد الحليم
محمود له عمق وغزارة الآراء الفقهية ودقة
الاجتهادات مما جعله يكسب صفوف المعارضين
قبل المؤيدين ، إلى جانب الباقية والدراية الكاملة
فى عرض أى موضوع أو مسألة تتعلق بأمر
الدين ، وأيضا يمتاز بقوة ورصانة الأسلوب
والعبارات ، مما يدل على المهارة الفائقة واللمعة
اللغوية فلهذا اكتسب هذا العالم الجليل احترام
كل الفرق والمذاهب الإسلامية فى شتى بقاع
العالم ، وسيبقى هذا العالم وتراثه فى قلوبنا على
مر العصور .

قيمته الفلاني : محمد أبو

صالح المحاريف

٠٣١٩٢١/٠١

